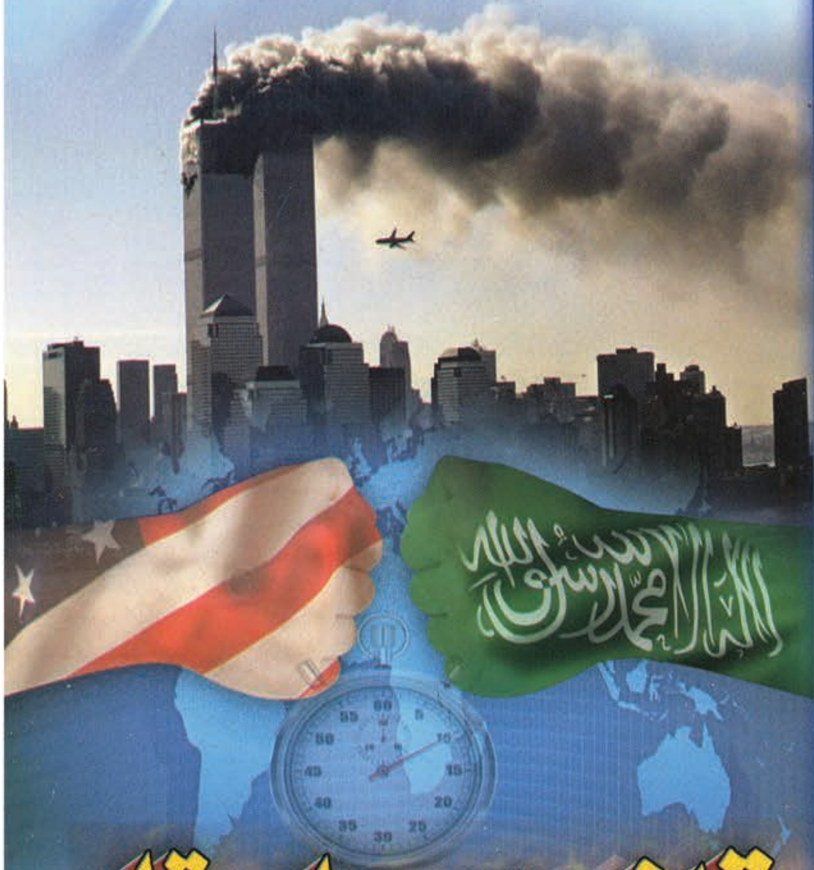
التوحيد

تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية ● العدد ٥٤٢ السنة السادسة والأربعون - صفر ١٤٣٨ هـ ● الثمن ٢ جنيهات



قانون جاستا
مؤامرة أمريكية لابتزاز السعودية

حاجة الأمة إلى الإصلاح

العنف الأسري أسبابه وعلاجه



لمثل هذا فليعمل العاملون

فقر المشاعر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾

السلام عليكم

مَنْ الأحمق؟!

يعيش كثير من الناس على الكلام، ويرد عليهم غيرهم أيضًا بكلام، ويقبضون على ذلك الأموال الطائلة، وقد يكون كلامهم طعنًا في برءاء، وفتاوى للسمعة والرياء، فلم ينفعوا الناس بعلم ولا بتربية، ولا بنصيحة ولا بتنمية.

وقد ذكر الجاحظ قصة في عيِّنَة من هـؤلاء، أن رجلاً من خراسان كان يأكل في بعض المواضع، إذ مر به عابر سبيل، فسلم عليه فرد الرجل السلام، ثم قال: هلم (تعال) عافاك الله.

فتوجه الرجل نحوه، فلما رآه صاحب الطعام مقبلاً قال له: مكانك.. فإن العجلة من الشيطان.

فوقف الرجل، فقال له الخراساني: ماذا تريد؟

قال الرجل: أريد أن أتغذى.

قال له: ولِمَ ذاك؟ وكيف طمعت في هذا؟ ومن أباح لك مالي؟

قال الرجل: أوَ ليس قد دعوتني وقلتَ: هلم؟

قال: ويحك، لو ظننتُ أنك هكذا أحمق ما رددت عليك السلام؛ الأمر ببساطة هو أن أقول أنا: هلم، فتجيب أنت: هنيئًا، فيكون كلام بكلام. فأما كلام بفعال، وقول بأكل، فهذا ليس من الإنصاف.

التحرير

صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس مجلس الإدارة
د.عبد الله شاكر الجنيدي

المشرف العام
د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية
جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل
د.مرزوق محمد مرزوق
محمد عبد العزيز السيد

التحرير
٨ شارع قولة عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧
ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام:
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦ - ٢٣٩١٥٤٥٦
WWW.ANSARALSONNA.COM

تنويه

إلى الإخوة مشتركي مجلة التوحيد بمصر: برجاء مراجعة مكتب البريد التابع لكم، والاتصال بقسم الاشتراكات في حالة عدم وصول المجلة، والإبلاغ عن اسم مكتب البريد التابع له المشترك؛ للتواصل مع المسئولين في هيئة البريد، وبحث الشكوى؛ لضمان وصول المجلة للمشترك في موعدها

والله الموفق

رئيس التحرير:

جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني:

حسين عطا القراط

سكرتير التحرير:

مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:

أحمد رجب محمد

محمد محمود فتحي



ثمن النسخة

مصر ٣٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٥٠ جنيها بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد . على مكتب بريد عابدين . مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون.

٢- في الخارج ٣٠ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة . باسم مجلة التوحيد . أنصار السنة حساب رقم / ١٩١٥٩٠

في هذا العدد

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

افتتاحية العدد

من آداب طالب العلم



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وسيد المرسلين وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم إلى يوم الدين، وبعدُ:

فقد تحدثت في اللقاء الماضي- بصورة موجزة- عن فضل العلم ومكانته، واستكمالاً لهذا الموضوع المهم الذي وافق بداية عام دراسي جديد أذكر هنا بعضا من آداب طالب العلم الذي يجب تحققها فيه ليحصل له المراد، وهي كما يلي:

١ - الإخلاص في الطلب:

الإخلاص شرط أساس في قبول الأعمال، وقد أمر به نبيه صلى الله عليه وسلم في كتابه فقال له: « فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ » (الزمر:٢)، كما أمر به عموم عباده المؤمنين، فقال: « وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ » (البينة:٥).

والعلم عبادة من العبادات، فلا بد من توفره في طلب العلم، والمراد هنا: أن يطلب العلم لله، ولإزالة الجهل عنه، ليعبد ربه على بصيرة. قال ابن جماعة رحمه الله: «حسن النية في طلب العلم بأن يقصد به وجه الله تعالى والعمل به، وتنوير قلبه وتحلية باطنه، والقرب من الله تعالى يوم القيامة، والتعرض لما أعد لأهله من رضوانه، ولا يقصد به الأغراض الدنيوية من: تحصيل الرياسة والجاه والمال، ومباهاة الأقران، وتعظيم الناس له، وتصديره في المجالس ونحو ذلك». (تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم ص٦٩).

والإخلاص سبب في توفيق الله لصاحبه وعون له على تحقيق مراده. قال ابن القيم رحمه الله: «إن العبد إذا خلصت نيته لله تعالى، وكان قصده وهمه وعمله لوجهه سبحانه كان الله معه، فإنه سبحانه مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، ورأس التقوى والإحسان خلوص النية لله في إقامة الحق، والله سبحانه لا غالب له، فمن كان معه فمن الذي يغلبه أو يناله بسوء؟ فإن كان الله مع العبد فمن يخاف؟ وإن لم يكن معه فمن يرجو؟ وبمن يثق؟ ومن ينصره من بعده؟» (إعلام الموقعين ٢/١٥٩).

فالإخلاص مهم وهو طريق النجاة من الشيطان الرجيم، فعدو الله إبليس لا سبيل له على المخلصين، وقد أقسم بعزة الله ليغوي بني آدم، واستثنى أهل الإخلاص، كما قال الله في كتابه: « قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ » (ص:٨٢، ٨٣)، وهؤلاء هم المقصودون في قول الله تعالى لإبليس: « إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا »



بقلم/ الرئيس العام
د/ عبدالله شاكر الجنيدي
www.sonna_banha.com

(الإسراء:٦٥). (انظر: ابن كثير ٥٧/٤).

فيا طالب العلم جرِّد نيتك لله، وليكن طلبك العلم لله لتنال الأجر منه وحده دون سواه، وكن في ذلك كالسلف المتقدمين الذين قال فيهم الحافظ الذهبي رحمه الله: «فقد كان السلف يطلبون العلم لله فنَبلوا، وصاروا أئمة يقتدى بهم، وطلبه قوم منهم أولاً لا لله، وحصلوه، ثم استقاموا، وحاسبوا أنفسهم، جرَّهم العلم إلى الإخلاص أثناء الطريق، كما قال مجاهد وغيره: «طلبنا هذا العلم وما لنا فيه كبير نية، ثم رزق الله النية بعدُ».

وبعضهم يقول: «طلبنا هذا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله»، فهذا أيضًا حَسَن، ثم نشروه بنية صالحة.

وقوم طلبوه بنية فاسدة لأجل الدنيا، ويُثنى عليهم، فلهم ما نووا؛ قال عليه السلام: «من غزا ينوي عقالاً فله ما نوى». وقوم نالوا العلم وولُوا به المناصب، فظلموا، وتركوا التقيد بالعلم، وركبوا الكبائر والفواحش، فتبًّا لهم، فما هؤلاء بعلماء، وبعضهم لم يتق الله في علمه، بل ركب الحِيَل، وأفتى بالرخص، وروى الشاذ من الأخبار، وبعضهم اجترأ على الله، ووضع الأحاديث، فهتكه الله وذهب علمه، وصار زاده إلى النار». (سير أعلام النبلاء ١٥٢/٧، ١٥٣).

واحذر يا طالب العلم من الرياء والشهرة، وحب الظهور، والترؤس في المجالس، فإن هذا وغيره مما يخالف الإخلاص يعرضك لغضب الله وعقابه، كما في الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه يقول: «إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه، رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل وسَّع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تُحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسُحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسَّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن يُنفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه، ثم ألقي في النار». (مسلم: ١٩٠٥).

قال النووي رحمه الله: «قوله صلى الله عليه وسلم في الغازي والعالم والجواد وعقابهم على فعلهم ذلك لغير الله وإدخالهم النار دليل على تغليظ تحريم الريا وشدة عقوبته، وعلى الحث على وجوب الإخلاص في الأعمال». (شرح النووي على مسلم ٥٠/١٣).

كما ورد وعيد شديد فيمن طلب العلم لغير الله، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تعلم علمًا مما يُبتغى به وجه الله عز وجل، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عَرْف الجنة يوم القيامة». (صحيح سنن أبي داود ٦٩٧/٢).

ومعنى عَرف الجنة، أي: رائحة الجنة، وهذا محمول على أنه يستحق ألا يدخل أولاً، ثم أمره بعد ذلك إلى الله تعالى كأمر أصحاب الذنوب كلهم إذا مات الواحد منهم على الإيمان. (انظر: عون المعبود ٩٨/١٠).

وفي سنن ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تعلم العلم ليباهي به العلماء، ويجاري به السفهاء، ويصرف وجوه الناس إليه، أدخله الله جهنم». (صحيح سنن ابن ماجه ٤٨/١).

فاحرص يا طالب العلم على الإخلاص، ودع عنك الرياء والنفاق، حتى يسلم لك عملك وتلقى جزاءه عند ربك.

يقول الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله: «فإن فَقَدَ العلم إخلاص النية، انتقل من أفضل الطاعات إلى أحط المخالفات، ولا شيء يحطم العلم مثل: الرياء، والتسميع، بأن يقول مسمعًا: علمتُ وحفظتُ، وعليه فالتزم التخلص من كل ما يشوب نيتك في صدق الطلب، كحب الظهور، والتفوق على الأقران،

وجعله سُلمًا لأغراض وأعراض من جاه أو مال، أو تعظيم، أو سمعة، أو طلب محمدة أو صرف وجوه الناس إليك، فإن هذه وأمثالها إذا شابت النية أفسدتها وذهبت بركة العلم، ولهذا يتعين عليك أن تحمي نيتك من شوب الإرادة لغير الله تعالى». (حلية طالب العلم ص٦، ٧).

وأنصح طالب العلم أن يكثر من قراءة سِيَر الصالحين الصادقين، فهي تبعث- إن شاء الله- على الانتفاع بكلماتهم، والاعتبار بمواقفهم، ومنها شدة إخلاصهم في طلب العلم، ومن هؤلاء الإمام الحسين بن مسعود البغوي- رحمه الله- الذي صدق في طلب العلم، فبارك الله له، ونفع به خلق كثير، واستفاد الناس من علمه، وقد شهد له العلماء بذلك، يقول الحافظ الذهبي رحمه الله فيه: «بورك له في تصانيفه، ورُزق فيها القبول التام، لحسن قصده، وصدق نيته، وتنافس العلماء في تحصيلها». (سير أعلام النبلاء ٤٤١/١٩).

وقال الداوودي: «وقد بُورك له في تصانيفه ورُزق فيها القبول الحسن بنيته». (طبقات المفسرين ١٦١/١).

وعلى هذا المنوال كان ابن كثير رحمه الله الذي ربما لا يوجد بيت فيه طالب العلم إلا وكان عنده تفسيره، ومثل هؤلاء في الأزمنة السابقة كثير، نسأل الله أن يجعلنا من الصادقين في القول والعمل، وأن يحسن النية، ويبارك في القول والعمل.

٢-صدق المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم

ثم أرى وأنا أتكلم عن الإخلاص هنا؛ أن أذكر طالب العلم بأهمية صدق المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فهما قرينان لا يفترقان وبهما معًا يقبل الله الأعمال.

يقول ابن القيم رحمه الله: «فالمقبول ما كان لله خالصًا للسنة موافقًا، والمردود ما فقد منه الوصفان أو أحدهما، وذلك أن العمل المقبول هو ما أحبه الله ورضيه، وهو سبحانه إنما يحب ما أمر به وما عُمل لوجهه، وما عدا ذلك من الأعمال فإنه لا يحبها، بل يمقتها ويمقت أهلها، قال الله تعالى: «الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» (الملك:٢)، قال الفضيل بن عياض: هو أخلص العمل وأصوبه، فسئل عن معنى ذلك فقال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا، فالخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة، ثم قرأ قوله: «فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا» (الكهف:١١٠). (إعلام الموقعين ١٦٢/٢).

٣- الصدق:

والصدق مطابقة الكلام للواقع، وهو ضد الكذب، وهو مهم لطالب العلم، ويجب أن يكون قرينًا للإخلاص، وهكذا ورد في كتاب الله الكريم. قال تعالى: «فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ۝٣٠ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ» (الحج:٣١).

قال ابن تيمية رحمه الله عن الصدق: «إنه مقرون بالإخلاص الذي هو أصل الدين في الكتاب، وكلام العلماء والمشايخ. قال الله تعالى: «وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ۝٣٠ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ» (الحج: ٣٠- ٣١)، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: «عدلت شهادة الزور الإشراك بالله مرتين». وقرأ هذه الآية، وقال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ الإشراك بالله، وعقوق الوالدين». وكان متكئًا فجلس فقال: «ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور». فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت. (مجموع الفتاوى ٧٦/٢٠).

فيا طالب العلم: تعلم الصدق قبل أن تتعلم العلم، وقد ورد هذا عن الأوزاعي كما في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٣٠٤/١، وإليك يا طالب العلم هذا التحذير من عالم نحرير: «احذر أن تمرق من الصدق إلى المعاريض فالكذب، وأسوأ مرامي هذا المروق: «الكذب في العلم» لداء منافسة الأقران، وطيران السمعة في الآفاق، ومن تطلع إلى سمعة فوق منزلته فليعلم أن في المرصاد رجالاً يحملون بصائر نافذة وأقلامًا ناقدة فيزنون السمعة بالأثر فتتم تعريتك عن ثلاثة معان: ١- فقد الثقة من القلوب، ٢- ذهاب علمك وانحسار القبول، ٣- ألا تُصدَّق ولو صدقتَ، وبالجملة فمن يحترف زخرف القول فهو أخو الساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى». (حلية طالب العلم ص٤٤).

فاصدق مع ربك ونفسك والناس، حتى لا تكون من الخاسرين، وترجع بالحسرة والندامة في يوم الدين.

أسأل الله سبحانه أن يجعلنا من المخلصين الصادقين، والحمد لله رب العالمين.



قانون جاستا.. مؤامرة أمريكية لابتزاز السعودية

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@HYAHOO.COM

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، أحمده سبحانه وأسأله الفوز بالباقيات، وبعدُ؛

لن يقف أعداء الإسلام عند فشل مخطط دُبِّرَ بليل، بل سرعان ما يتحولون إلى البديل التالي، والهدف واحد في كل الأحوال، وهو النَّيل من الدول الإسلامية، وتفتيتها، واقتلاع ثرواتها، وتدمير شعوبها، وقد سبقت كلمة الله التي لا مرد لها ولا مخالف، ومما لا شك فيه أن الكارهين للإسلام، الحاقدين على أهله، مهما كتموا حقدهم، وأخفوا كرههم، وحسبنا كلام رب العزة سبحانه: «وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ» (البقرة:١٢٠). وما قانون «جاستا» الأمريكي إلا حلقة من حلقات المؤامرات المحاكة ضد الإسلام والمسلمين، قال الله تعالى: «وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ» (الأنفال:٣٠). وحسبنا الله ونعم الوكيل!!

جاستا الأمريكي.. ومحاولة النَّيل من السعودية

وفي سابقة هي الأولى من نوعها؛ تصدر أمريكا تحت مسمى «العدالة ضد رعاة الإرهاب»، وهو ما اشتهر بـ «جاستا»؛ حيث يتيح هذا القانون مقاضاة المملكة العربية السعودية من قبل أسر ضحايا هجوم ١١ سبتمبر رغم عدم وجود أيِّ أدلة تدين المملكة العربية السعودية، أو تثبت تورط حكومتها، وذلك رغم الفيتو «الأوبامي الممنهج»، والذي تم رفضه من قبل الكونجرس الأمريكي، وهنا يتبادر إلى الأذهان السؤال الملح، وهو ما علاقة هذا القانون بالمؤامرات الأمريكية والغربية ضد الدول العربية والإسلامية؟! ولماذا صدر هذا القانون في هذا التوقيت الخطير وبعد خمسة عشر عامًا من أحداث سبتمبر؟ وما علاقته بالاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط، والتغيرات الماثلة في التحالفات المستقرة لأمريكا مع بعض دول الشرق الأوسط؟!

وتصنف أمريكا الدول الراعية للإرهاب بالدول التي لا تتمتع بالحصانة، مثل إيران وسوريا والسودان، ولكن تطبيق هذا القانون سيدفع دولاً أخرى لتطبيق نفس مبدأ هذا القانون بشكل أوسع.

وقد أقر الكونجرس الأمريكي قانون «جاستا»، بعد نقضه للفيتو الرئاسي، مما أثار ردود فعل صاخبة على كل المستويات التي أقرت بأن تطبيق هذا القانون سوف ينتج عنه نتائج خطيرة، وردود أفعال لا يحمد عقباها!! كما أن هذا القانون إذا ما تم تطبيقه فمن شأنه خلق حالة من الفوضى في العلاقات بين أمريكا وكثير من الدول يأتي على رأسها المملكة العربية السعودية، ودول الخليج، والدول التي ستتحالف معها، كما أن تطبيق

هذا القانون من شأنه أن يعرّض أمريكا ومواطنيها، ودبلوماسييها لمحاكمات وملاحقات قانونية، مما سيكلف أمريكا ثمنًا باهظًا.

الأسباب الخفية وراء إصدار القانون

وتعود حالة الغضب التي اجتاحت الشارع العربي، بعد إقرار الكونجرس الأمريكي بمجلسيه للقانون المعروف اختصارًا بـ «جاستا» إلى ما كان واضحًا للجميع بأن القانون سياسي في المقام الأول بمعنى أنه يستهدف ابتزاز المملكة العربية السعودية لتحقيق مكاسب سياسية، وأن الكونجرس الأمريكي الذي لا يعرف سوى المصالح، وتنفيذها بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة، لم يكن يبحث عن عدالة أو إرجاع حقوق كما يدعون، بل كان هدفه أولاً وأخيرًا هو تحقيق مصالحها السياسية وتنفيذ مخططاتها ومآربها!!

وبنظرة فاحصة حول هذا القانون، وإصداره في هذا التوقيت، بأنه جزء من الخطة الشاملة لاستهداف المنطقة العربية، والشرق الأوسط، وإضعافها، بل تفتيتها إن أردت الدقة، في إطار ما وضعته من خطط ومؤامرات للشرق الأوسط الجديد، وغير خاف على القاصي والداني ما يحدث وما يتم تنفيذه منذ التسعينيات في هذا السياق، سواء في العراق أو سوريا ولبنان، وليبيا واليمن، ويعلم الله من سيأتي عليه الدور، فالدائرة تدور حسب المخططات الموضوعة، والمؤامرات المدبرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!!

والزج بالسعودية في أحداث سبتمبر بحجة أنه يوجد خمسة عشر سعوديًا من بين منفذي هجمات سبتمبر البالغ عددهم تسعة عشر، رغم أن التحقيقات الفيدرالية الأمريكية لم تثبت دليلاً واحدًا على تورط الحكومة السعودية أو أي من مسئوليها في تمويل هذا الإرهاب.

ورغم أن قانون جاستا لم يُشِرْ صراحة إلى المملكة العربية السعودية، يُعَدُّ تعديلاً لقانون صدر في عام ١٩٦٧م يعطي حصانة لبلدان أخرى من الملاحقة القضائية في الولايات المتحدة الأمريكية، الأمر الذي سيعطي الحق لأسر ضحايا الولايات المتحدة الأمريكية في أحداث سبتمبر، في مقاضاة أيِّ مسئول في الحكومة السعودية، يُشكُّون في لعبه دورًا في تمويل هذه الهجمات، ويُعد بمثابة إشارة لخطة أمريكية تهدف لنهب ثروات المملكة العربية السعودية، والاستعداد لشن هجوم ضدها مستقبلاً كما حدث في العراق وأفغانستان التي كانت بنفس الحجة، وهو مشروع «المحافظين الجدد» الذي يؤمن بقوة أمريكا وهيمنتها على العالم، بعيدًا عن القيم والمبادئ التي تدعيها زيفًا!!

ومن الصعوبة بمكان لأيِّ متابع للأحداث أن يتناول هذا القانون بمعزل عن مقوماته السياسية، ولا عن تطورات الأوضاع الإقليمية في المنطقة، وبالأخص ما جرى في جانبها الآخر منذ توقيع أمريكا لاتفاقها التاريخي مع إيران حول تحجيم قدرتها النووية، بعد قطيعة وحصار دام عقودًا، والاتفاق لم يَخْلُ بالطبع من تفاهمات سياسية واتفاقيات سرية، لإعادة صياغة توازنات القوة في المنطقة، وتحديدًا بين المعسكرين السني والشيعي والنتيجة ماثلة أمام أعين الجميع في إحجام أمريكا عن التدخل في سوريا عسكريًا، وإقرار أمريكا بدور رئيس لروسيا فيها، والتي تساعد نظام بشار الأسد المدعوم من إيران ومن حزب الله الشيعي اللبناني!!

السعودية .. وتداعيات الأحداث

وفي حقيقة الأمر، فإن الأيام القادمة سوف تكشف عن تداعيات خطيرة، وردود أفعال ستترك آثارًا مضنية على الجميع، ففي الجانب الاقتصادي تستطيع السعودية الضغط على أمريكا، وذلك بأن تقوم بسحب مليارات الدولارات من الاقتصاد الأمريكي، وقد هددت السعودية بسحب ٧٥٠ مليار دولار من أمريكا في حالة تم تفعيل هذا القانون، وتوجد تلك الأموال على شكل سندات وأصول أخرى. وقد صرح وزير الخارجية السعودية عادل الجبير أن السعودية سوف تضطر لبيع جميع الأصول السعودية في أمريكا خوفًا من تجميدها قضائيًا. والسعودية قادرة بإذن الله على الضغط على أمريكا بداية بالنفط، إضافة لشركات واستثمارات خاصة، كما أن ربط الريال السعودي مع اليوان الصيني في الفترة الأخيرة أمر مهم ، ولا بد للسعودية من التوجه نحوه بكل قوة.

أما عن الانعكاسات الدولية ضد جاستا، فلا شك أنه سيعيد صياغة العلاقات من جديد، كما سيدفع بعض الدول بمقاضاة دول أخرى تسبب في ضرر لرعاياها، وهي سابقة جديدة في القانون الدولي.

وربما تصل أضرار هذا القانون إلى أمريكا ذاتها، فهذا المكر والفساد في الأرض قد يطولها قال تعالى: «وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ» (فاطر: ٤٣)، فقد تبادر اليابان بسن قانون تعويضات عن القنابل النووية في هيروشيما ونجازاكي، وكذا دول أمريكا الجنوبية التي طالتها الاعتداءات الأمريكية، وصدق الله تعالى: «وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ» (الأنفال: ٣٠).

اللهم احفظ بلادنا من كل مكروه وسوء، ورد كيدهم في نحرهم، آمين يا رب العالمين، والحمد لله رب العالمين.

سورة الأحقاف

الحلقة الثالثة

قال تعالى:

« وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ »

(الأحقاف: ٥-٨)

إعداد/ د. عبد العظيم بدوي

تفسير الآيات

الإنسانُ حينَ يَبْنِي مُعتَقدَهُ علَى غَيرِ بُرهانٍ ولا سُلطانٍ فهوَ إنسانٌ ضالٌ سفيهٌ، ولذلكَ قالَ تعالَى: « وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ »:

الاستفهامُ في قولِه تعالَى: «وَمَنْ أَضَلُّ» للتوبيخ والإنكار، ومعناهُ لا أحدَ أضلُّ «ممَّنْ يدعُو مِنْ دونِ اللهِ مَنْ لا يستجيبُ لهُ إلى يومِ القيامةِ وهُمْ عَنْ دعائهِمْ غافلونَ» وإذا كانَ ما تدعُوهُ غافلاً عنْ دعائكَ فكيفَ يُجيبُكَ؟! فدعاءُ غيرِ اللهِ شركٌ باللهِ عز وجل، شركٌ أكبرُ يُنافي التوحيدَ، ويُنافي الإسلامَ، ويُنافي الإيمانَ، ولذلكَ قالَ تعالَى: « وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ » (يونس: ١٠٦) أي المشركينَ.

عنِ ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنه قالَ: كُنْتُ خلفَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم يومًا فقالَ: «يا غلامُ! إنِّي أُعلِّمُكَ كلماتٍ: احفظِ اللهَ يحفظْكَ، احفظِ اللهَ تجدْهُ تُجاهَكَ، إذا سألتَ فاسألِ اللهَ، وإذا استعنتَ فاستعِنْ باللهِ، واعلمْ أنَّ الأمةَ لو اجتمعتْ علَى أنْ ينفعوكَ بشيءٍ لمْ ينفعوكَ إلا بشيءٍ قدْ كتبَهُ اللهُ لكَ، ولوِ اجتمعوا علَى أنْ يضرُّوكَ بشيءٍ لمْ يضرُّوكَ إلا بشيءٍ قدْ كتبَهُ اللهُ عليكَ، رُفعتِ الأقلامُ وجفَّتِ الصُّحُفُ». (أخرجه الترمذي ٢٥١٦ وصححه الألباني).

فلا يجوزُ لمسلمٍ أنْ يدعُوَ غيرَ اللهِ، أيًّا كانَ هذا المدعُو، حيًّا أوْ ميتًا، ولا يجوزُ لمسلمٍ أنْ يسألَ غيرَ اللهِ، ولا يجوزُ لمسلمٍ أنْ يلجأَ في الكُرُباتِ إلى الأمواتِ يسألُهُم كشفَ الغُمَّةِ وإزالةَ الكُربةِ، فإنَّ هذا شركٌ أكبرُ لا يغفرُهُ اللهُ.

وقولُهُ تعالَى: « وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ »:

هذا إعلامٌ منَ اللهِ للمشركينَ أنَّ الذينَ عبدُوهُم منْ دونِه سيتبرَّءونَ منهُمْ يومَ القيامةِ، ويكفرُونَ بعبادَتِهِم، سواءٌ منهُمْ مَنْ رضيَ بعبادتِهِمْ ومَنْ لمْ يرضَ، حتَّى قالَ بعضُ المفسِّرينَ إنَّ الأصنامَ

وَالأَوْثَانِ يَجعل الله تبارك وتعالى لها يوم القيامة سمعًا وأبصارًا وأفئدة، ويستنطقها فتنطق بعداوة من عبدها من دون الله عز وجل:

قال تعالى: «وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٨١) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا» (مريم: ٨١- ٨٢)، وقال تعالى: «وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ (١٧) قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا (١٨) فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا» (الفرقان: ١٧- ١٩).

وقال تعالى: «وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ (٢٨) فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ (٢٩) هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ» (يونس: ٢٨- ٣٠).

ثُمَّ ذكر الله تعالى موقفهم من النبي صلى الله عليه وسلم ومن الوحي الذي أوحاه إليه، فقال: «وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات» أي واضحات ظاهرات جليات، «قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين»، وكذبوا والله! فأين الثرى من الثريا؟ وما وجه الشبه بين السحر وبين هذا القرآن المجيد، والكتاب المبين،كلام الله رب العالمين، فما جزاؤهم إلا ما قال تعالى في حق من قال عن القرآن الكريم: «فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ» (المدثر: ٢٤- ٣٠).

ثم إنهم لم يكونوا متفقين ولا ثابتين على قول واحد يقولونه في القرآن الكريم والرسول العظيم صلى الله عليه وسلم، «بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ» (الأنبياء: ٥)، فتارة يقولون سحر وساحر، وتارة يقولون شعر وشاعر، وتارة يقولون كهانة وكاهن، وتارة يقولون افتراه، وتارة «يقولون إنما يعلمه بشر»، ولذلك ذكر الله تعالى أولا مقولة من مقولاتهم: «وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين»، ثم أضرب عن هذا القول الأول فقال: «أم يقولون افتراه» أي اختلقه وتخرصه كذبًا، ثم لقن الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم كيف يبطل تلك الشبهة فقال: «قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئًا» يقول تعالى: قل لهم يا نبينا: إن افتريته وتخرصته على الله كذبًا «فلا تملكون لي من الله شيئًا» أي: فلا تغنون عني من الله إن عاقبني على افترائي إياه، وتخرصي عليه شيئًا، ولا تقدرون أن تدفعوا عني سوءًا إن أصابني به (جامع البيان ٥/٢٦)، كما قال تعالى: «وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ» (يونس: ١٥)، لو افتريت عليه كذبًا، فقد قال تعالى: «وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ» (الحاقة: ٤٤- ٤٧)، وقال تعالى: «وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا (٧٣) وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤) إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا» (الإسراء: ٧٣- ٧٥).

فما يكون لي أن أفترى على الله الكذب وقد توعدني بهذا الوعيد، وأنا أعلم أنه لو عذبني ما دفع عني منكم أحد،كما قال تعالى: «قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢) إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا» (الجن: ٢٢- ٢٣).

ثم خوفهم من عاقبة أقوالهم السيئة فقال: «هو أعلم بما تفيضون فيه» وسيجزيكم عليه أسوأ الجزاء، كما قال سبحانه: «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (٢٦) فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٧) ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ» (فصلت: ٢٦- ٢٨).

ثم استشهد صلى الله عليه وسلم بربه على صدقه وأمانته، وكذبهم وخيانتهم فقال: «كفى به شهيدًا بيني وبينكم»، فالله يشهد أنني ما تقولت عليه، بدليل أنه لم يفعل بي شيئًا مما توعدني به على الافتراء. ثم رغبهم في الرجوع عن هذه الأقاويل، والإقلاع عن هذه الأباطيل، بالإيمان بأنه رسول الله، وبأن القرآن كلام الله أوحاه إليه، فقال: «وهو الغفور الرحيم» يغفر لكم ويرحمكم إذا آمنتم بالله وبرسوله، والكتاب الذي أنزل على رسوله، كما قال تعالى: «فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٨) يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» (التغابن: ٨- ٩).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

لا تحزن إن اللّه معنا

الحلقة الثانية

إعداد/ عبد الرزاق السيد عيد

الحمد لله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، ونصلي ونسلم على إمام رسله وخاتم أنبيائه سيدنا محمد النبي الأمي الكريم وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعدُ: فإنه في ليلة السابع والعشرين من شهر صفر في السنة الرابعة عشر أو الثالثة عشر من النبوة (البعثة النبوية) الموافق الثالث عشر من سبتمبر من سنة ٦٢٢م غادر النبيُّ صلى الله عليه وسلم بيته متجهًا إلى بيت صاحبه ورفيقه في رحلته أبي بكر رضي الله عنه، ثم اتجها سويًا إلى غار ثور في جنوب مكة ليمكثا فيه ثلاث ليال: ليلة الجمعة إلى ليلة الأحد، ثم خرجا ليلة الإثنين الأول من ربيع في السنة الأولى من الهجرة النبوية الموافق السادس عشر من سبتمبر سنة ٦٢٢م مُتَّجِهَيْن إلى المدينة التي وصلا إليها ونزلا في حي قُباء في يوم الإثنين الثامن من ربيع الموافق الثالث والعشرين من سبتمبر سنة ٦٢٢م.

وقد سجل القرآن الكريم هذا الحدث العظيم الذي بدأ بخروج النبي صلى الله عليه وسلم من بيته وبقائه في الغار مع صاحبه أبي بكر رضي الله عنه.

وقد تحدثنا في لقاءٍ سابق عن هذا الحدث من خلال الآية رقم (٤٠) من سورة التوبة، وربطناها بما سبقها من السياق وما لحقها، ثم استخلصنا بعض الفوائد الإيمانية. ولأهمية هذا الحدث في السيرة النبوية، وما ترتب عليه من أمور أردنا اليوم أن نلقي عليه مزيدًا من الضوء، وخصوصًا موقف أبي بكر رضي الله عنه الذي لم يشاركه فيه أحدٌ من أصحاب النبي الكرام، ونبدأ مستعينين بالله بإبراز موقف أبي بكر:

أولاً: وقد سماها ابن القيم رحمه الله «تحفة ثاني اثنين»، حيث قال: «كانت تحفة ثاني اثنين مدخرة للصديق، دون الجميع، فهو التالي في الإسلام وفي بذل النفس، وفي الزهد، وفي الصحبة، وفي الخلافة، وفي العمر، أسلم على يديه من العشرة المبشرين بالجنة ستة: عثمان، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وكان عنده يوم أسلم أربعون ألف درهم أنفقها أحوج ما كان الإسلام إليها، نطقت بفضله الآيات والأخبار واجتمع على بيعته المهاجرون والأنصار، فيا مبغضيه في قلوبكم من ذكره نار، كلما تليت فضائله علا عليكم الصغار. أترى لم يسمع الروافض قول الحق تبارك وتعالى: «ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ» (التوبة:٤٠)، دعا إلى الإسلام فما تلعثم ولا أبى، وسار على المحجة فما زل ولا كبا، فيا لله لقد زاد على السبك في كل دينار دينار «ثاني اثنين إذ هما في الغار»، من كان قرين النبي في شبابه؟ من ذا الذي سبق إلى الإيمان من أصحابه؟ من أول من صلى معه؟ من آخر من صلى به؟ من الذي ضاجعه بعد الموت في ترابه؟ فاعرفوا حق الجار، نهض يوم الردة بفهم واستيقاظ، وأبان من نصِّ الكتاب معنى دَقَّ على الألحاظ، فالمحب يفرح بفضائله والمبغض يغتاظ حسرة، فضائله جلية وهي خلية عن اللباس يا عجبًا! من يغطي عين ضوء الشمس في نصف النهار، لقد دخلا غارًا لا يسكنه لابث فاستوحش الصديق من خوف الحوادث، فقال

الرسول صلى الله عليه وسلم: «ما ظنك باثنين والله الثالث». فنزلت السكينة فارتفع خوف الحادث، فزال القلق وطاب عيش الماكث، فقام مؤذن النصر ينادي على رؤوس منائر الأمصار: «ثاني اثنين إذ هما في الغار». اهـ مع شيء من التصرف.

في هذه الأسطر التي اختصرناها من كلام ابن القيم رحمه الله في كتابه الفوائد كثير من الفوائد والإشارات إلى فضل أبي بكر الذي شهد به الكتاب والسنة وشهدت به الحوادث التاريخية، وفيه كذلك ردٌّ على مبغضيه وشانئيه من الروافض، كذلك فيه إشارة على تفرد أبي بكر رضي الله عنه بموقف الغار الذي تميز به وجاء ذكره في الكتاب العزيز، ولذا نقل الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيره عن جماعة من أهل العلم قولهم: «من أنكر أن يكون عمر وعثمان أو أحد من الصحابة صاحبه رسول الله فهو كذاب مبتدع، ومن أنكر أن يكون أبو بكر رضي الله عنه صاحب رسول الله فهو كافر لأنه أنكر نص القرآن». اهـ.

ولا شك أن فضائل أبي بكر رضي الله عنه كثيرة لا تخفى على القاصي والداني، ولا ينكرها إلا من في قلبه مرض وقد ابتليت الأمة بكثير من هؤلاء قديمًا وحديثًا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله في تفسيره عند الآية (٤٠) من سورة التوبة: «وفي هذه الآية الكريمة فضيلة أبي بكر الصديق بخصيصة لم تكن لغيره من هذه الأمة، وهي الفوز بهذه المنقبة الجليلة، والصحبة الجميلة، وقد أجمع المسلمون على أنه هو المراد بهذه الآية الكريمة، ولهذا عدوا من أنكر صحبة أبي بكر للنبي صلى الله عليه وسلم، كافرًا، لأنه منكر للقرآن الذي صرح بها. وفيها فضيلة السكينة، وأنها من تمام نعمة الله على العبد في أوقات الشدائد والمخاوف التي تطيش بها الأفئدة، وأنها تكون على حسب معرفة العبد بربه، وثقته بوعده الصادق، وبحسب إيمانه وشجاعته.». اهـ.

نعم لقد أنزل الله السكينة على النَّبيِّ وعلى صاحبه، وقد ظهر أثر هذه السكينة على أبي بكر في مواقف عديدة من حياته بعد ذلك، خصوصًا بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم حين اضطرب الناس وسكن أبو بكر، وثبت في تلك الشدة ثباتًا عظيمًا أدى إلى ثبات الأمة من بعد ذلك.

ثانيًا: ما أحوجنا أن نجعل: «لا تحزن إن الله معنا» شعارًا وسلوكًا لنا.

نعم نحن في مسيس الحاجة أن نجعل «لا تحزن إن الله معنا» شعارًا لنا في كل الأوقات وسلوكًا لنا في الأزمات؛ لأن المسلم إذا استشعر معية الله فما يخاف؟ وعلام يقلق؟ فالكون كلُّه لله يصرفه كيف يشاء، أليس الله هو الملك الذي يملك السماوات والأرض ومن فيهن يعطي ويمنع ويرفع ويخفض، « قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ » (آل عمران:٢٦)، إذا كان الله معنا فمعنا كل شيء، وإذا فقدنا هذه المعية فقد فقدنا كل شيء، إذا كان الله معنا فلا يأس، ولا قنوط، ولا حزن، ولا اضطراب، بل هدوء وسكينة ووقار.

«لا تحزن»: نهي عن الحزن؛ لأنه يضعف القلب ويوهن البدن ويشتت الذهن، ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم كثيرًا ما يستعيذ بالله من الهم وال حزن، وكان يوصي بذلك كثيرًا: «إن الله معنا».

لماذا لا يحزن المؤمن؟ لأن الله معه، فكيف يحزن من كان الله معه ناصره ومؤيده وحافظه وكافيه وشافيه ومجيب دعوته إذا دعاه إذا مسك الضر فقل: «يا الله»، وإذا وقعت في شدة فقل: «يا الله»، وليكن لك أسوة فيمن سبق: « وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ » (الأنبياء: ٨٣- ٨٤)، « وَذَا ٱلنُّونِ

﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٧- ٨٨).

لكننا هنا لا بد أن نؤكد على أمر لا نمل من تكراره ألا وهو، هناك فرق بين المعية العامة التي يحيط فيها علم الله بجميع خلقه والمعية الخاصة التي يتولى الله فيها الصالحين بنصره وحفظه واستجابة دعائهم، وهذه المعية لها أسباب لكي نحظى بها ونفوز، فهؤلاء الأنبياء الذين ذكرهم الله واستجاب لهم أثنى الله عليهم بقوله سبحانه: ﴿كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ (الأنبياء: ٩٠)، اجتمعت تلك الخصال:

١- المسارعة في الخيرات.

٢- الدعاء في الرجاء والخوف.

٣- الخشوع لله، فاستحقوا معية الله الخاصة وعلى من أراد أن يفوز بما فازوا به فليفعل ما فعلوه، وقد وضع الله سبحانه قاعدة عامة لمن أراد أن يفوز بمعيته الخاصة، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ (النحل: ١٢٨).

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (العنكبوت: ٦٩)، فالذين جاهدوا في الله هم المحسنون وهم الذين يستحقون معية الله الخاصة، وقوله سبحانه: «جاهدوا فينا» والمقصود: جاهدوا أنفسهم في ذات الله وجاهدوا هواهم في ذات الله، وجاهدوا الشيطان في ذات الله، وجاهدوا الدنيا في ذات الله، فهؤلاء الذين يستحقون معية الله الخاصة.

وفي أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم بيان واضح لطرق الاستقامة التي تستجلب معية الله نذكر منها على سبيل المثال قول النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما فيما أخرجه الترمذي عن ابن عباس قال: «كنت خلف النبي يومًا، فقال: يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام، وجفت الصحف» والحديث صححه الألباني.

وهكذا على المسلم أن يحفظ دين الله عقيدة وأخلاقًا ومعاملة؛ إذا أراد معية الله وحفظه.

ومن هذه الأحاديث ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله تعالى: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني أعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنه». وهذا الحديث القدسي المبارك يرشدنا إلى أمور:

أداء الفرائض وترك المحرمات.

المحافظة على النوافل فهي طريق المحبة.

حفظ الجوارح فلا يسمع إلا ما يرضي الله، ولا ينظر ببصره إلى محرم ولا تبطش يده ولا تمشي قدمه إلى معصية وبهذا إذا دعا استجاب الله دعاءه، وإن استعاذ بالله أعاذه.

والخلاصة: فإن معية الله التي أحاطت برسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه للمؤمنين منها نصيب بقدر استقامتهم وتمسكهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين المهديين وفي مقدمتهم أبي بكر رضي الله عنهم ورضي الله عن جميع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وعن التابعين، والحمد لله رب العالمين.

حاجة الأمة إلى الإصلاح

إعداد/ الشيخ محمد حامد الفقي
رحمه الله



"قال الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه: والله لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها".

الذي لا شك فيه، وهو من الوضوح بدرجة أن الجميع مجمعون عليه: هو حاجة الأمة إلى الإصلاح، وأن الجميع مجمعون بالشكاية من أمراض كثيرة جداً تفتك في كيان الأمة الإسلامية، وتهد من قواها شيئاً فشيئاً، حتى لتكاد توردها موارد الموت والفناء. هذه قضية مسلمة من الجميع، تسمعها على لسان كل فرقة وطائفة وجماعة. ولو صدق الجميع في هذه الشكاية، وحولها مجراها من المجالس والنوادي والمحافل إلى قرارة أنفسهم، وأداروها في قلوبهم وجوانحهم قبل أن يملؤوا الجو بها صياحاً وعويلاً، لو فعلوا ذلك مخلصين صادقين، لوجدوا أن علة المرض وجرثومة الداء في قرارة أنفسهم. فإن الأمة ليست إلا مجموعة هذه الأعضاء من الفرق والطوائف والجماعات؛ وأن الأمراض ليست إلا جراثيم منبثة في قلب كل واحد ونفسه، وأنه لو ذهب يعالج كل واحد منا نفسه ويقتلع منها جرثومة المرض لأصبحت الأمة في أتم صحة وعافية. ولكن أين الإخلاص والصدق في الشكاية والإحساس الصحيح بحاجة الأمة إلى العافية والإصلاح؟؟

يقول أبو الدرداء رضي الله عنه "لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله، ثم يرجع لنفسه فيكون لها أشد مقتاً" يعني أن تكون مرضاة الله قبل كل شيء وفوق كل شيء. فإذا مقت الناس وكرهتهم في الله، لأنهم على ما يكره الله فابحث عن ذلك في نفسك أولاً وفتش عليه، فإن وجدته فامقته وتخلص منه، لأنك لا تقدر أن تتخلص من نفسك مثل ما تقدر أن تتخلص من الناس بهجرهم واعتزالهم ولعلك حين تفتش في نفسك تجد أن ما تمقته من بعض الناس هو التقوى والإيمان بالنسبة إلى ما في نفسك من مساخط الله، لو كنت جاداً مخلصاً. وطوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس.

الأمة مريضة بأمراض أفسدت عليها مزاجها الإسلامي، وأفسدت عليها حياتها الإسلامية. هذا لا شك فيه. والأمة محتاجة إلى علاج يرجعها إلى الصلاح الإسلامي، ويعود بها إلى العافية الإسلامية. هذا كذلك لا شك فيه.

وفي الأمة جمعيات إسلامية، وطوائف إسلامية، وأحزاب وشيع إسلامية؛ تأسست وقامت على دعوى الإصلاح، وبنت حياتها على الرغبة - أو على دعوى الرغبة - في علاج أكثر ما تستطيع من الأمة.

وفي الأمة علماء ووعاظ وخطباء ومدرسون وقادة ومفكرون من كل الطبقات يتحدثون بالشكوى والحاجة إلى الإصلاح، ويدعون أنهم يعملون لهذا الإصلاح، ويسعون إلى إصلاح أكثر ما يستطيعون من أفراد الأمة.

وفي الأمة صحف ومجلات، وفيها كتاب يطالعون الناس كل يوم بمجموعة صالحة من المقالات والرسائل والكتب؛ كلها تنعى على الفساد المستولي على الأمة وتنادي بالعمل السريع الجاد لتلافي هذا الفساد، والمبادرة إلى علاج الأمة من هذه الأمراض الفتاكة.

في الأمة كل هذه العوامل الكثيرة الضخمة التي حين يستعرضها الإنسان ويفكر فيها يعتقد أقوى الاعتقاد أن هذه القوى والعوامل لا تستطيع مرض أن يثبت أمامها، ولا يقوى على التغلب عليها، فضلاً عن انتشاره واستشرائه واستفحاله كل يوم عن الذي قبله. وها نحن نرى الأمراض والطواعن تنهزم وتولي الأدبار أمام جيوش الطب وعوامل الصحة حين تتوجه بكل قوتها إلى حربها. ولكن الإنسان يأخذه أشد العجب والدهش إذ يرى أن هذه القوى والجماعات الإسلامية والوعاظ والكتاب والمجلات والجرائد لا تغني من هذه الأمراض الاجتماعية فتيلاً. حتى تتحدث كل فرقة وجماعة مجلة وجريدة بذلك. وتكرر كل يوم الشكاية المرة منه!!

أليس من واجب الطبيب أن يتعهد مريضه كل يوم ويلاحظ تأثير العلاج فيه، فإذا وجده غير ناجع استبدله بغيره، فإذا جرب كل العلاجات المعروفة في مثل هذا المرض ووجدها لم تأتي بفائدة. انتقل إلى فحص البيئة والجو الذي يعيش فيه المريض، ثم إلى غير ذلك من أنواع المؤثرات ومختلف الأسباب حتى يستطيع أخيراً أن يقف على السبب الحقيقي. فإن لم يصل بنفسه استعان بمن هو أعلم منه، أو بجماعة من إخوانه أو ما إلى ذلك مما نرى الأطباء الجسمانية يتخذونه ويسلكونه سبيلاً في العلاج؟!

فالواجب إذن على أولئك السادة الذين يقولون أنهم مصلحون أن يجربوا أنواعاً أخرى من العلاج غير التي حاولوا بها أولاً إصلاح الأمة فلم يفلحوا، ووجدوا نتيجة ما يشكون منه ويتألمون. والواجب كل الواجب أن يتعاونوا ويتضافروا تضافر طبيب العيون مع طبيب الأذن، مع طبيب الأنف، مع طبيب المعدة مع طبيب القلب، مع طبيب الرئة، مع طبيب المجاري البولية. وهكذا يتضافر هؤلاء كل في اختصاصه ودائرة معرفته يبذل مجهوده؛ ويفسح له الطبيب الآخر المجال لذلك حرصاً على عافية المريض، وحباً لشفائه، ويقيناً منهم أن المعارضة والمخاصمة ووضع العقبات في سبيل بعضهم يؤدي ولا بد إلى موت المريض وهلاكه. لأن كل مرض من هذه الأمراض مهلك قتال إذا لم يتدارك العلاج بالعلاج من العارف به والمتخصص له.

أليس من الواجب كذلك على أطباء الأمراض الاجتماعية وعلى هذه الجماعات أن تتضافر وتتعاون تضافر أولئك الأطباء وتعاونهم حتى تبلغ بمريضها إلى ما تدعيه من حب العافية والصلاح؟ لو كان مخلصة لمهمتها إخلاص طبيب الأذن والأنف والمعدة لفعلت ذلك. ولو آمنت بأجرها من ولي ذلك المريض إيمان مريض الأنف والأذن والمعدة بأجره من ولي مريضه لفعلت ذلك. ولو علمت مرض مريضها وشخصته بمعرفة مقياس الصحة والعافية. وأوتيت من الحكمة ما تقدر أن تزن به الصحة والمرض، والعافية والسقم. لوصلت إلى غايتها ولبلغت إلى غرضها. ولاستطاعت كما استطاع الطبيب الأول - محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه وتابعوهم - أن يصلوا بهذا المريض إلى السلامة كل السلامة وإلى العافية كل العافية.

أيها السادة المحاولون الإصلاح. تعالوا نشخص المريض التشخيص الذي يجعله بارزاً لا يخفى على أحد. ونقيم للناس المثل الأعلى للصحة والعافية الإسلامية. ثم تعالوا نضع أيدينا في بعضها متعاهدين بإخلاص وصدق أن يقوم كل واحد منا بعلاج ما يعرف وتيقن مما تخصص فيه من أمراض الأمة. ومتعاهدين أشد وأوثق تعاهد أن يفسح كل واحد منا المجال للطبيب الآخر مقدراً له مجهوده وموصياً المريض بالانتفاع بعلاجه.

وتعالوا أخيراً نتعاهد على اليقين والإيمان بالأجر الذي سنأخذ وافياً من الله ولي هذه الأمة إذا نحن قمنا بما أوجبه علينا لها من عمل نافع مخلصين عملنا لله ولله وحده. وهو مولانا ونعم النصير. إننا إن فعلنا ذلك وبعنا أنفسنا لله وتجردنا من كل شهوة وهوى نفس وحظ دنيوي من رياسة أو مال. لا بد واصلون إلى الغاية؛ وبالغون إلى ما يملأ نفوسنا نعيماً وسعادة من صلاح هذه الأمة وفلاحها إن شاء الله. وفق الله الجميع لذلك.

المصدر: مجلة الهدي النبوي- المجلد الرابع- العدد ٤١- أول ربيع الأول سنة ١٣٥٩



باب العقيدة

معنى التوحيد وأنواعه

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:
فالتوحيدُ: هو إفرادُ الله بالخلق والتدبير، وإخلاصُ العبادة له، وترك عبادة ما سواه، وإثبات ما لهُ من الأسماء الحسنى، والصفات العليا، وتنزيهه عن النقص والعيب؛ فهو بهذا التعريف يشمل أنواع التوحيد الثلاثة، وبيانها كالتالي:

الحلقة الثانية

إعداد/ د. صالح الفوزان

١- توحيد الربوبية:

أولاً: في بيان معنى توحيد الربوبية وإقرار المشركين به:

التوحيد: بمعناه العام هو اعتقادُ تفرُّد الله تعالى بالربوبية، وإخلاص العبادة له، وإثبات ما له من الأسماء والصفات، فهو ثلاثة أنواع: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وكل نوع له معنى لابد من بيانه؛ ليتحدد الفرق بين هذه الأنواع:

١- فتوحيد الربوبية: هو إفرادُ الله تعالى بأفعاله؛ بأن يُعتقَدَ أنه وحده الخالق لجميع المخلوقات: «ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ» (الزمر: ٦٢).

وأنه الرازق لجميع الدواب والآدميين وغيرهم: «وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا» (هود: ٦).

وأنه مالكُ الملك، والمدبِّرُ لشؤون العالم كله؛ يُولِّي ويعزل، ويُعزُّ ويُذل، قادرٌ على كل شيء، يُصرِّفُ الليل والنهار، ويُحيي ويُميت: «قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ» (آل عمران: ٢٦، ٢٧).

وقد نفى الله سبحانه أن يكون له شريكٌ في الملك أو معين، كما نفى سُبحانه أن يكونَ له شريكٌ في الخلق والرِّزق، قال تعالى: «هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ» (لقمان: ١١).

وقال تعالى: «أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ بَل لَّجُّوا۟ فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ» (الملك: ٢١).

كما أعلن انفراده بالربوبية على جميع خلقه فقال: «ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ» (الفاتحة: ٢)، وقال: «إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ» (الأعراف: ٥٤).

وقد فَطَرَ الله جميعَ الخلق على الإقرار بربوبيته؛ حتى إن المشركين الذين جعلوا له شريكًا في العبادة؛ يقرون بتفرده بالربوبية، كما قال تعالى: «قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ» (المؤمنون: ٨٦-٨٩).

فهذا التوحيدُ لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم؛ بل القلوب مفطورة على الإقرار به؛ أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات؛ كما قالت الرسل فيما حكى الله عنهم: «قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ» (إبراهيم: ١٠).

وأشهر من عرف تجاهله وتظاهره بإنكار الرب فرعون، وقد كان مستيقنًا به في الباطن كما قال له موسى: «قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ» (الإسراء: ١٠٢).

وقال عنه وعن قومه: «وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا» (النمل: ١٤).

وكذلك من يُنكرُ الربَّ اليوم من الشيوعيين؛ إنما ينكرونه في الظاهر مكابرة؛ وإلا فهم في الباطن لابد أن يعترفوا أنه ما من موجود إلا وله موجد، وما من مخلوق إلا وله خالق وما من

أثـر إلا وله مؤثـر، قال تعالـى: «أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ» (الطور: ٣٥-٣٦).

تأمـل العـالم كلـه، علويـه وسفليـه، بجميع أجزائه؛ تجده شاهدًا بإثبات صانعه وفاطره ومليكـه. فإنـكار صانعـه وجحـده في العقول والفطـر؛ بمنزلة إنكار العلـم وجحده، لا فرق بينهمـا (لأن العلـم الصحيـح يثبـت وجـود الخالـق)، وما تتبجح بـه الشيوعية اليوم من إنـكار وجود الـرب؛ إنما هـو من بـاب المكابرة، ومصـادرة نتائج العقول والأفـكار الصحيحة، ومـن كان بهـذه المثابة، فقد ألغـى عقله ودعا الناس للسخرية منه.

قال الشاعر:

كيـف يعصي الإلـه

ويجحده الجاحد

وفي كل شيء لـه آيـة

تدل على أنه واحد

ثانيًا: مفهـومُ كلمة الـربِّ في القـرآن والسُّنَّة وتصوُّرات الأمم الضَّالَّة:

١- مفهوم كلمة الرَّبِّ في الكتاب والسنة:

الرَّبُّ في الأصل: مصـدرُ ربَّ يَرُبُّ، بمعنى: نشأ الشـيءَ مـن حـال إلى حـال التمام، يُقـالُ: ربَّه وربَّـاه وربَّبَهُ، فلفـظ (رب) مصدر مستعار للفاعل، ولا يُقالُ: (الرَّبُّ) بالإطلاق؛ إلا لله تعالـى المتكفـل بما يصلـح الموجودات، نحـو قولـه: «رَبِّ الْعَالَمِينَ» (الفاتحـة: ٢)، «رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ» (الشعراء: ٢٦).

ولا يقال لغيره إلا مضافًا محدودًا، كما يقال: رب الـدار؛ وربُّ الفرس. يعنـي صاحبُها، ومنه قولـه تعالى حكاية عن يوسـف عله السلام: «اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ» (يوسف: ٤٢) على قول في تفسير الآية. وقولـه تعالـى: «قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ» (يوسـف: ٥٠).

وقولـه تعالـى: «أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا» (يوسف: ٤١).

وقـال صلـى الله عليـه وسلم في ضالـة الإبل: (حتـى يجدهـا ربهـا) (مـن حديـث متفـق عليه).

فتبـين بهـذا: أن الـرب يطلق علـى الله معرفًا ومضافًـا، فيقـال: الـرب، أورب العالمـين، أورب الناس، ولا تُطلـق كلمـة الرَّبِّ علـى غير الله إلا مضافـة، مثـل: رب الـدار، ورب المنزل، ورب الإبل.

ومعنـى (رب العالمـين) أي: خالقهـم ومالكهم، ومصلحهم ومربيهـم بنعمه، وبإرسـال رسله، وإنـزال كتبـه، ومجازيهم علـى أعمالهم. قال العلامة ابن القيـم رحمه الله: (فإنَّ الربوبية تقتضـي أمر العباد ونهيهـم، وجزاء مُحسنهم بإحسانه، ومُسيئهم بإساءته).

هذه حقيقة الربوبية.

٢- مفهـوم كلمـة الـرب في تصـورات الأمم الضالة:

خلـق الله الخلـق مفطوريـن علـى التوحيد، ومعرفة الـرب الخالق سبحانـه، كما قال الله تعالـى: «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ» (الروم: ٣٠).

وقـال تعالـى: «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا» (الأعراف: ١٧٢).

فالإقـرارُ بربوبيـة الله والتوجـه إليـه أمـر فطـري، والشـرك حـادث طـارئ، وقـد قـال النبي صلى الله عليه وسلم: (كلُّ مولود يُولد علـى الفطرة، فأبـواه يُهوِّدانـه أو يُنصِّرانه أو يُمجِّسانه) (رواه الشيخـان)، فلو خُلِّيَ العبد وفطرتـه لاتجه إلـى التوحيـد وقَبِـل دعوة الرسل؛ الـذي جـاءت بـه الرسل، ونزلت به الكتـب، ودلـت عليـه الآيـات الكونيـة، ولكن التربية المنحرفة والبيئـة الملحدة هما اللتان تغـيران اتجاه المولـود، ومن ثَمَّ يقلـد الأولاد آباءهم في الضلالة والانحراف.

يقولُ الله تعالى في الحديث القدسي: (خلقت عبـادي حنفـاء، فاجتالتهـم الشياطـين) (رواه أحمد ومسلـم) أي: صَرَفَتْهُم إلى عبادة الأصنام، واتخاذها أربابًا من دون الله؛ فوقعوا في الضـلال والضياع، والتفرق والاختلاف؛ كل يتخـذ له ربًّـا يعبده غـير رب الآخـر؛ لأنهم

لما تركوا الرب الحق، ابتُلوا باتخاذ الأرباب الباطلة، كما قال تعالى: « فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ » (يونس: ٣٢) والضلال ليس له حدّ ونهاية، وهو لازم لكل من أعرض عن ربه الحق، قال الله تعالى: « ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ » (يوسف: ٣٩، ٤٠).

والشرك في الربوبية باعتبار إثبات خالقين متماثلين في الصفات والأفعال ممتنع، وإنما ذهب بعض المشركين إلى أن معبوداتهم تملك بعض التصرفات في الكون، وقد تلاعب بهم الشيطان في عبادة هذه المعبودات، فتلاعبَ بكل قوم على قدر عقولهم، فطائفة دعاهم إلى عبادتها من جهة تعظيم الموتى؛ الذين صوروا تلك الأصنام على صورهم، كقوم نوح، وطائفةٌ اتخذت الأصنام على صورة الكواكب؛ التي زعموا أنها تؤثر على العالم، فجعلوا لها بيوتًا وسدنة.

واختلفوا في عبادتهم لهذه الكواكب: فمنهم من عبد الشمس، ومنهم من عبد القمر، ومنهم من يعبدُ غيرهما من الكواكب الأخرى؛ حتى بنوا لها هياكل، لكل كوكب منها هيكل يخصه، ومنهم من يعبدُ النار، وهم المجوس، ومنهم من يعبد البقر، كما في الهند، ومنهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، ومنهم من يعبدُ القبور والأضرحة، وكل هذا بسبب أن هؤلاء تصوروا في هذه الأشياء شيئًا من خصائص الربوبية.

فمنهم من يزعم أن هذه الأصنام تمثل أشياء غائبة، قال ابن القيم: (وضع الصنم إنما كان في الأصل على شكل معبود غائب، فجعلوا الصنم على شكله وهيأته وصورته؛ ليكون نائبًا منابه، وقائمًا مقامه. وإلا فمن المعلوم أن عاقلاً لا ينحت خشبة أو حجرًا بيده، ثم يعتقد أنه إلهه ومعبوده...) انتهى.

كما أن عُبّاد القبور قديمًا وحديثًا، يزعمون أن هؤلاء الأموات يشفعون لهم، ويتوسطون لهم عند الله في قضاء حوائجهم ويقولون: «مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ » (الزمر: ٣)، « وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ » (يونس: ١٨).

كما أن بعض مشركي العرب والنصارى تصوروا في معبوداتهم أنها ولد الله، فمشركو العرب عبدوا الملائكة على أنها بنات الله، والنصارى عبدوا المسيح- عليه السلام- على أنه ابن الله.

٣- الرد على هذه التصورات الباطلة:

قد رد الله على هذه التصورات الباطلة جميعًا بما يأتي:

أ- ردّ على عبدة الأصنام بقوله: « أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ » (يونس: ١٨).

ومعنى الآية كما قال القرطبي: أفرأيتم هذه الآلهة: أنفعت أو ضرت؛ حتى تكون شركاء لله تعالى؟ وهل دفعت عن نفسها حينما حطمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم وهدموها.

وقال تعالى: « وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ » (الشعراء: ٦٩-٧٤).

فقد وافقوا على أنّ هذه الأصنامَ لا تسمعُ الدعاءَ ولا تنفعُ ولا تضر، وإنما عبدوها تقليدًا لآبائهم، والتقليد حجة باطلة.

ب- ورد على من عبد الكواكب والشمس والقمر بقوله: « وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ » (الأعراف: ٥٤)، وبقوله: « وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ » (فصلت: ٣٧).

جـ- ورد على من عبد الملائكة والمسيح- عليهم السلام- على أنهم ولد الله- بقوله تعالى: « مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ » (المؤمنون: ٩١)، وبقوله: « أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ » (الأنعام: ١٠١)، وبقوله: « لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ » (الإخلاص: ٣، ٤).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

باب السنة

لمثل هذا فليعمل العاملون

إعداد/ د. مرزوق محمد مرزوق

الْحَمد لله الَّذي أذلَّ بِالْمَوْت رقَاب الْجَبَابِرَة، وَكسر بصدمته ظُهُور الأكاسرة، وَقصر ببغتته آمال القياصرة، فعلق بذلك أمل العبد على أخراه.

وَمن صفا مَعَ الله صافاه، وَمن أوى إلى الله آواه، وَمن فوَّض أمْرَه إلى الله كَفاهُ، وَمن بَاعَ نَفسه من الله اشْتَرَاهُ بأن له الجنة، تلكم من الله وعظ صَادق وعهد سَابق، وَمن أوفى بعهده من الله، فلاَ يزَال العَبْد خَائفًا على نَفسه حَتَّى يدْخلهُ الله حماه ويبشره بحبه لقياه وبعد:

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ» قَالَتْ عَائِشَةُ أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ: إِنَّا لَنَكْرَهُ المَوْتَ، قَالَ: «لَيْسَ ذَاكِ، وَلَكِنَّ المُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ المَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ».

التخريج:

رواه البخاري عن الصحابة الأجلاء: عبادة بن الصامت وأبي موسى الأشعري وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم جميعًا، والتي بين أيدينا هي رواية عبادة بن الصامت رواها البخاري عنه في: كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه (٦٥٠٧).

ورواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه (رقم ٢٦٨٣ – ٢٦٨٤).

ورواه النسائي في الصغرى كتاب الجنائز باب: فيمن أحب لقاء الله (١٨٣٠)، وفي الكبرى في الرقائق من حديث أبي هريرة.

ورواه الترمذي في أبواب الجنائز باب فيمن أحب لقاء الله (١٠٤٨).

ورواه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له (٤٢٩٨).

المعنى العام:

قضى الله عز وجل على خلقه بالموت كما قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ (الزمر: ٣٠)، وجعل الله عز وجل هذا الموت بوابة خروج من سجن الدنيا وضيقها إلى سعة الآخرة ونعيمها؛ إذ قال صلى الله عليه وسلم

كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة: "الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر".

وقضى الله عز وجل على المحتضر الذي حضره أجله فشخص بصره وحشرج صدره واقشعر جلده، قضى الله عليه أن يرى مقعده من الجنة- رزقنا الله وإياكم- أو مقعده من النار- أعاذنا الله وإياكم- لكنه قد ختم على لسانه فلا ينطق، فإن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم يراها في انتظاره كما قال صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة: "الميت تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل صالحاً قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة، كانت في الجسد الطيبة، اخرجي حميدة، وأبشري بروح وريحان، ورب غير غضبان، فما يزال يقال لها ذلك حتى تخرج)، فإن وجد هذه البشارات أحب لقاء الله وتمنى على من حوله- وإن كان لا ينطق- أن يسرعوا به إلى قبره إذ قد أحب الله لقاه فبشره بقبر فسيح؛ روضة من رياض الجنة وحاله كما قال صلى الله عليه وسلم عندما خُيِّر وهو على فراش الموت بين الدنيا والآخرة فاختار لقاء الله فقال: "بل الرفيق الأعلى". (كما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها).

وأما إن كان من الضالين ممن قضى الله أن يبشر بالحميم فإنه إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله فكره الله لقاءه ولهذا جاء في حديث المحتضر أن نفس الكافر إذا بُشرت بالغضب والسخط تفرقت في جسده وأبت أن تخرج كما في حديث البراء في مسند أحمد: "ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتتفرق في جسده، فينزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول.. الحديث"، وكما قال تعالى «وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ» (الأنعام: ٩٣).

فالذي على هذه الحال يكره لقاء الله وقد كره الله لقاءه وأعد له جزاء ما قدمت يداه، بل يطلب الرجوع إلى الدنيا مرة أخرى ليصلح ما كان أفسد إذ يقول كما قال الله: « حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ » (المؤمنون: ٩٩- ١٠٠).

ولقاء الله يكون بعد الموت وليس هو الموت الذي يكرهه الجميع جبلّة، وهو الجواب على تعجب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كما في الحديث: "قَالَتْ عَائِشَةُ أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِه: إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ، قَالَ: «لَيْسَ ذَاك، وَلَكنَّ الْمُؤْمنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّه وَكَرَامَتِه، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْه مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّه وَأَحَبَّ اللَّه لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّه وَعُقُوبَتِه، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْه مِمَّا أَمَامَهُ، كَرِهَ لِقَاءَ اللَّه وَكَرِهَ اللَّه لِقَاءَهُ".

مما يستفاد من الحديث مختصراً:

الأول: فيه أن كراهية العبد للموت حال حياته التي يرجى فيها التوبة والإحسان أمر مشروع، ولا يتنافى مع حبه للقاء الله والذي يكون حال الاحتضار.

الثاني: فيه بيان البشارة العظيمة الحقيقية للمؤمن عند احتضاره ومفارقته للدنيا بالنعيم الخالد في الجنة.

الثالث: فيه أن البشارة المعتبرة إنما تكون عند الاحتضار، لا في حياة الإنسان، إلا من ثبتت بشارته بالوحي.

الرابع: فيه أن الدنيا سجن للمؤمن، وجنة للكافر كما صح بذلك الحديث الشريف، وذلك بما أعد الله للمؤمن من نعيم وبما ينتظر الكافر من عذاب إذ جنة الإنسان هي مكان متعته.

الخامس فيه توضيح معنى (لقاء الله) بالنسبة للمؤمن والكافر، وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله.

السادس: بدأ الله بأهل الخير في الذكر لشرفهم، وإن كان أهل الشرّ أكثر لقوله تعالى: « وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ » (يوسف: ١٠٣).

السابع: وفيه أن المجازاة من جنس العمل؛ فإنه قابل المحبة بالمحبة والكراهة بالكراهة.

الثامن: وفيه أن المؤمنين والكافرين يلقون ربهم في الآخرة ثم تكون الرؤية الخاصة التي هي نعيم وإكرام في الجنة للمؤمنين فقط. (ينظر: "فتح الباري" (ج١١ ص٣٥٨-٣٦٠)، ((الدرر واللآلي بشرح صحيح البخاري للشيخ محمد علي الصابوني، ص٤٧٣).

وفيه غير ما تقدم: متى يكون الخوف ومتى يكون الرجاء، والفرق بين الغرور وحسن الظن بالله وهو ما نتمنى على الله تمامه في الحلقة القادمة إن شاء الله فضلاً عن مناسبة الحديث في الدفاع عن السنة في كيفية الجمع بين ما ظاهره التعارض من الأحاديث، والرد على المغرضين، ثم الختام بفهم السلف لمثل هذا الحديث وإذعانهم مع السنة ولقاء الله تعالى ورؤيته.

وفي هذا القدر كفاية، والحمد لله رب العالمين.

الفكر الإسلامي (٢)

إعداد/ أ.د/أحمد منصور سبالك

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

تحدثنا في المقال السابق في عُجالة حول ما سنتحدث عليه فيما بعدُ، وهو «الفكر الإسلامي»، هذا المصطلح الذي ذاع صيته شرقًا وغربًا بلا مضمون يُذكر، وهذه المرة سنتحدث- ان شاء الله- عما يصف هذا الفكر بالإسلامي، وهو «الدين الإسلامي»، الدين الحق الذي ينبغي على كل متدين أن يدخل في عباءته.

أبدأ بسؤال: ما هو الدين أولاً؟

لقد شغلت مسألة الدين وتحديده العلماء قديمًا وحديثًا، ومن ثَمَّ نجد له تعريفات شتى، تتقارب حينًا، وتتباعد حينًا، إلا أن ما يهمنا بما يعرفه أهل الإسلام أولاً:

فهو علاقة بيننا وبين رب العالمين، يفرض علينا من خلال هذه العلاقة واجبات نؤديها، ونتيجة لذلك لنا عند الله حقوق، ويشهد لهذا حديث معاذ عند مسلم، لما كان رديف النبي صلى الله عليه وسلم على دابته وسأله عن أمرين: أتدري يا معاذ ما حق الله على العباد؟ وأتدري يا معاذ ما حق العباد على الله؟

وفي السؤالين أجاب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله على الأمر الأول: أن يعبدوه لا يشركوا به شيئًا، وعلى الثاني قال: أن يدخلهم الجنة.

حقوق وواجبات:

هذه العلاقة بين العبد وبين ربه تسمى: «الدين»، ولهذا أخذت هذه اللغة عند العرب من الدين، وهو العلاقة بين دائن ومدين، ودين ينتقل بين الاثنين، ومن هنا إذ لم يقيد الدين بأنه من الله تعالى فهو دين باطل، صاحبه ومعتنقه في الآخرة من الخاسرين، ومن هنا كان قول الله تعالى: « لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ » (الكافرون:٦).

ومع أن الله سبحانه سمى ما كان عليه العرب في الجاهلية من الوثنية: دينًا، إلا أن الدين الحق ما كان وحيًا من الله تعالى للمصطفين من خلقه، لهداية الناس إلى الصراط المستقيم بما يأتي به من العقائد التي لا تختلف فيها الرسل عليهم الصلاة والسلام، كما قال الله تعالى في الشورى: «شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ » (الشورى:١٣) أي: أوحينا إليك يا محمد وإلى سائر الأنبياء دينًا واحدًا.

ولن نجد جماعة إنسانية كانت تعيش في الأزمان القديمة إلا كان لها دين، ومعبودات تتجه إليها، رهبًا حينًا، ورغبًا حينًا آخر، ولعل الرهبة والرغبة هما الطابع المميز الذي يُلازم كل دين من أول عهد البشرية بالحياة، حتى هذا العصر الذي نعيش فيه.

هذا، وقد تجد في عصر أقلية- لا يعتد بها- من الناس في أمة أو أمم مختلفة لا تفكر في الدين ومسائله أو تنساق في حياتها بتيار المادية الجارف، وتكاليف الحياة الدنيا الثقيلة المرهقة، وتأخذ الحياة على أنها لهو ولعب ولا شأن للدين بها.

ولما كان الشعور الديني أصلاً في الإنسان في أي زمن وعصر يعيش، مهما كانت درب ثقافته وحضارته؛ لأنه نابع من نفسه، والتي تخاف المجهول وترجوه دائمًا، ولو لم تكن الغريزة الدينية بهذه الصورة لعزَّ على الأنبياء والمرسلين تبليغ الوحي الإلهي لمن أرسلوا إليهم، أو بعبارة أدق: لكان تثبيت هذا الوحي في قلوب من يبشرونهم به أمرًا عسيرًا كل العسر عليهم.

ولما كان لكل مجموعة منهم دين، كان منهم من يعبد الأوثان والأصنام، ومن يعبد النجوم والكواكب، ومن يعبد الأشجار أو الحيوانات... إلخ.

ومن ثم يتبع ما يوحى إليه من قبل معبوده الذي اتخذه إلهًا له، وينفذ أوامره بحذافيرها.

ومن أجل ذلك يجب أن نعرف: أن نشر الدين الصحيح ليس معناه خلق الميول الدينية التي لم تكن قبل، بل معناه توجيه هذه الميول الوجهة الصحيحة؛ لتصل إلى الدين الحق، ليكون رحمة بالناس جميعًا، إذ يهدي النفوس الضالة إلى الحق من أقرب الطرق وأيسرها.

فالإنسان لا يكون شيئًا إن تُرك إلى نفسه وعقله، ومن العدل أن يكون الإنسان مسئولاً عما يفعل، وأيضًا يحقق الغرض من وجوده، وحتى يكون كذلك لا بد من أن يُبين له الرشد من الغي، ويُفصل له بين الحق والباطل، وقد كان هذا على ألسنة من اصطفاهم من خلقه ليكونوا حاملي رسالاته، هذه الرسالات التي رأيناها متدرجة لتتفق كل منها وعقلية الشعب أو الأمة التي جاءت لها.

لهذا رأينا في إرسال الرسل أن كل رسول يتبعه رسول حتى بُعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالإسلام للناس جميعًا والإنسانية عامة؛ ليخرج العالم مما كان يتخبط فيه من ظلم وضلال.

وهذا الذي جعل العالم بأسره- كان ولا يزال- في حاجة شديدة إلى هذا الدين الحق، وأن خلاص الإنسانية مما تعانيه في الإيمان به واتباعه، فهو الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر والداعي إلى الحق وإلى صراط مستقيم، وذلك بما اتسم هذا الدين من سمات تصلح لذلك، وخصائص تدعمه في عمل كل هذا، كوحدته الدينية والسياسية، والاجتماعية، وأنه يخاطب العقل والفكر، وأنه دين يوافق الفطرة في وضوح تام، ويدعوا إلى الحرية والمساواة، لذلك أصبح خاتمًا للرسالات السماوية لصلاحه للإنسانية كلها.

إذن: لما يكون الدين للفرد وللدولة وللأمة وللعالم، فيه إقرار بحقوق الإنسان في شتى النواحي، ألا يكون جديرًا بأن يخلق فكرًا يساعد على نهضة الأمة إن دانت به؟

هذا السؤال رغم تكراره على ألسنة الكثير، إلا أننا نغفل عن الشرط الذي في آخره: إن دانت به؟!

فللأسف أصحاب هذا الدين ظلموه مرتين:

الأولى: في حمله.. ما حملوه بحق.

الثانية: في عرضه.. ما عرضوه بحق.

فوجب علينا أن نحمل ديننا ونفهمه بالصورة التي رسمها لنا الوحي الشريف- بالقرآن والسنة- حتى يكون لنا بابًا نعرض من خلاله فكرًا دينيًا صحيحًا، على حد تعبير البعض، فلا يتصور فكرًا إسلاميًا نابعًا عن بُعد تام كما بين المشرق والمغرب، فيما بين ما ينتج عن هذا الفكر وبين أصوله الإسلامية الصحيحة.

فأقف إلى هذا الحد، وأترك القارئ الكريم ليتدبر ما ذكرت؟ حتى إذا ما تكلمت فيما بعد عن الفكر ومراتبه وفضائله وفريضته، وواقعه بين العقل والشرع، وكيف نرده إلى الشرع فيحكم بقبوله أو رده.. في مقالات آتية بإذن الله تعالى.

سائلاً المولى سبحانه أن ينفع به القارئ والكاتب، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصل اللهم وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه وسلم.

درر البحار في تحقيق ضعيف الأحاديث القصار

الحلقة (٥٢)

إعداد/ علي حشيش

٤٧١- «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ نِسْبَةً، وَإِنَّ نِسْبَةَ اللهِ: قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ».

الحديث لا يصح: أخرجه الإمام الحافظ الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤١٢/١) (ح٧٣٦) من حديث أبي هريرة مرفوعًا، وعلته الوزاع بن نافع روى عن أبي سلمة وآخرين، وروى عنه علي بن ثابت وآخرون، قال الطبراني: «لا يروى هذا الحديث عن أبي هريرة إلا بهذا الإسناد».

قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٨٣/٣): «الوازع بن نافع العقيلي كان ممن يروي الموضوعات عن الثقات على قلة روايته». وقال الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» (٣٨٨): «منكر الحديث»، وقال محدث وادي النيل الشيخ أحمد شاكر في «شرح اختصار علوم الحديث» (ص٨٩): «قول البخاري: منكر الحديث. فإنه يريد به الكذابين ففي «الميزان» للذهبي (٥/١): نقل ابن القطان أن البخاري قال: «كل من قلت فيه: «منكر الحديث» فلا تحل الرواية عنه». اهـ.

وقال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٦٠١): «وازع بن نافع: متروك الحديث».

قلت: وهذا المصطلح عند النسائي له معناه حيث قال الحافظ ابن حجر في «شرح التحفة» (ص٧٣): «مذهب النسائي ألا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه». اهـ.

وقال ابن طهمان في «روايته عن ابن معين» (٣٢٥): «سمعت يحيى يقول: «الوزاع بن نافع ليس بشيء».

وقال الإمام العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١٩٣٧/٣٣٠/٤): حدثنا عبد الله بن أحمد قال: سئل يحيى بن معين وأنا أسمع عن الوازع بن نافع فقال: «ليس بثقة وهو عقيلي من أهل الجزيرة، وسألت أبي عنه فقال: ليس حديثه بشيء». اهـ.

قلتُ: وأخرج الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٩٤/٧) (٢٠١٧/٢٨) قال: حدثنا حماد، حدثنا عبد الله بن أحمد به.

٤٧٢- «إذا أكَلَ أحَدُكُمْ اللَّحْمَ فَلْيَغْسِلْ يَدَهُ مِنْ وَضَرِ اللَّحْمِ؛ لا يؤذي مَن صلَّى حذاءَهُ».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٩٥/٧) (٢٠١٧/٢٨)، وابن حبان في «المجروحين» من طريق الوزاع بن نافع عن سالم عن ابن عمر مرفوعًا قال ابن حبان: هذا الحديث في نسخة كتبناها عن الوازع بهذا الإسناد لا يخلو أن تكون موضوعة أو مقلوبة». اهـ. والوازع ليس بثقة متروك منكر الحديث. يروي الموضوعات عن الثقات كما بينا آنفًا.

٤٧٣- «ابْتَغُوا الرِّفْعَةَ عِنْدَ اللهِ»، قَالُوا: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «تَحْلُمُ عَمَّنْ جَهِلَ عَلَيْكَ، وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ، وَتَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٩٦/٧) من طريق الوازع بن نافع عن سالم عن ابن عمر

مرفوعًا، ثم قال: وهذه نسخة للوازع وقد بينا حال هذه النسخة آنفًا، وعلة الحديث الوازع بن نافع ليس بثقة، متروك، منكر الحديث يروي الموضوعات عن الأثبات.

٤٧٤- «إِنَّ الْمَسْجِدَ لَيَنْزَوِي مِنَ النُّخَامَةِ كَمَا تَنْزَوِي الْبَضْعَةُ، أَوِ الْجِلْدَةُ فِي النَّارِ».

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (١٠١/١) بصيغة الجزم عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أجد له أصلاً». اهـ.

٤٧٥- «نِعْمَ الْبَيْتُ يَدْخُلُهُ الْمُسْلِمُ الْحَمَّامُ، فَإِذَا دَخَلَهُ سَأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ الْجَنَّةَ، وَاسْتَعَاذَ بِهِ مِنَ النَّارِ».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ح٣١٥) من حديث يحيى بن عبيد الله عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعًا، وعلته يحيى بن عبيد الله قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١٦٧/٢/٤): «يحيى بن عبيد الله القرشي التيمي المديني هو ابن عبيد الله بن موهب روى عن أبيه عن أبي هريرة، سألت أبي عنه فقال: ضعيف الحديث منكر الحديث جدًا، ونهاني أن أكتب حديثه وقال: لا تشتغل به».

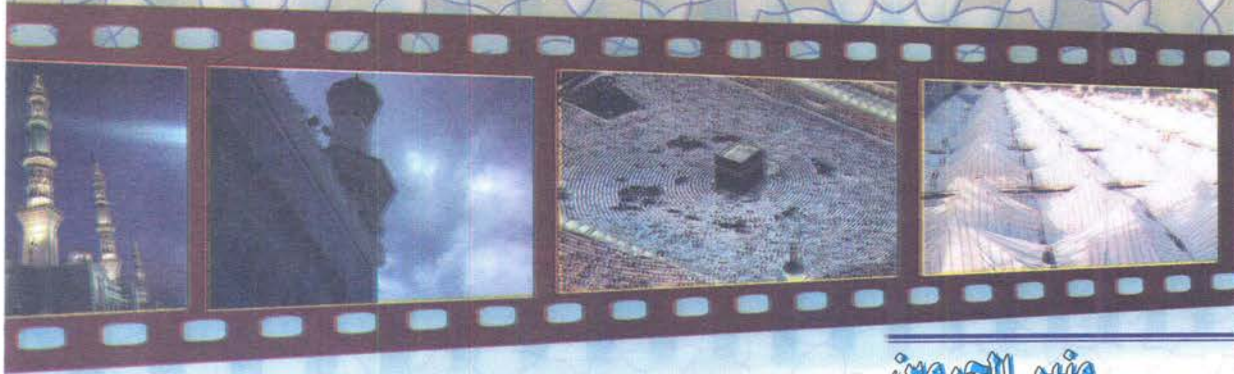
وقال ابن أبي حاتم: أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل فيما كتب لي: سمعت أبي يقول: يحيى بن عبيد الله منكر الحديث ليس بثقة. اهـ. ونقل الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (٢٢٢/١١): عن الحاكم أبي عبد الله قال: «روى عن أبيه عن أبي هريرة نسخة أكثرها مناكير، وقال في موضع آخر يضع الحديث». اهـ. لذلك قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١٢١/٣): «يروي عن أبيه ما لا أصل له، فلما كثرت روايته عن أبيه ما ليس من حديثه سقط عن حد الاحتجاج». اهـ.

٤٧٦- «إِذَا انْقَطَعَ شِسْعُ نَعْلِ أَحَدِكُمْ فَلْيَسْتَرْجِعْ؛ فَإِنَّهَا مِنَ الْمَصَائِبِ».

الحديث لا يصح: أخرجه الإمام البيهقي في «شعب الإيمان» (ح٩٦٩٣)، والبزار في «المسند» (ح٩٦٨٧)، وابن عدي في الكامل (٢٠٤/٧) (٢١٠٦/٥٣) من طريق يحيى بن عبيد الله عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعًا، وعلته يحيى بن عبيد الله وهو منكر الحديث جدًا لا يكتب حديثه ولا يشتغل به، ليس بثقة يروي عن أبيه ما لا أصل له، وعن أبيه عن أبي هريرة نسخة أكثرها مناكير حتى قال الحاكم أبو عبد الله: كان يضع الحديث؛ كما بينا آنفًا.

٤٧٧- «اسْتَفْرِهُوا ضَحَايَاكُمْ، فَإِنَّهَا مَطَايَاكُمْ عَلَى الصِّرَاطِ».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» (٤٨/١- زهر الفردوس) قال: أخبرنا محمد بن طاهر، أخبرنا أبو منصور الصوفي، حدثنا علي، حدثنا الحسين بن علي القاضي حدثني أحمد بن الخضر المروزي، حدثنا عبد المجيد، حدثنا محمد بن مكي، عن ابن المبارك، عن يحيى بن عبيد الله، عن أبيه، عن أبي هريرة مرفوعًا، وقال الحافظ ابن حجر في «تلخيص الحبير» (١٣٨/٤) (ح١٩٥٣): «أخرجه صاحب مسند الفردوس من طريق ابن المبارك به، ثم قال: ويحيى ضعيف جدًا». اهـ. وقد بينا حاله بالتفصيل آنفًا، ولقد نقل الألباني رحمه الله قول الحافظ ابن حجر هذا في «الضعيفة» (ح١٢٥٥)، وبيّن أن الضياء أخرجه في «المنتقى» من طريق يحيى بن عبيد الله عن أبيه عن أبي هريرة، وهي نسخة المناكير، كما بينا آنفًا.



العنف الأسري.. صوره وأسبابه وعلاجه

إعداد/ د. سعود بن إبراهيم الشريم
إمام المسجد الحرام

الحمدُ لله الوليِّ الحميد، الغفور الودود، ذي البطش الشديد، الفعَّال لما يُريد، وأشهد أن محمداً عبدالله ورسوله صلواتُ الله وسلامُه عليه، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وعلى أصحابه الغرِّ الميامين، وسلَّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الوصيَّةَ المبذُولةَ لي ولكم- عباد الله- هي تقوَى الله في الغيب والشهادة، والغضب والرِّضا، والمنشط والمكرَه، (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) (الأنفال: ١).

مكانة الأسرة في الإسلام:

أيها المسلمون: الأُسرةُ المُسلمةُ رُكنٌ رئيسٌ من أركان المجتمع المُسلم المُتكامل، وعليه فإن كل ما يطرَأ على تلكم الأُسرة؛ من استقرارٍ واضطرابٍ، وخفَّةٍ وأناة، ورِفقٍ وعُنفٍ سينعكسُ بالضرورة على المَجمُوع، بقَدرِ ما لتلكُم الأسرةَ من مكانةٍ وأثرٍ في المُجتمع، قلَّ ذلكم أو كثُر.

لذلكم كله أكَّد الإسلامُ أهميَّةَ الأُسرة، ومدَى تأثيرها البالغِ على المُجتمعِ المُسلم إيجابًا وسَلبًا، كيف لا والأسرةُ هي أساسُ النَّشءِ والتكاثُر؛ فلا أسَر بلا توالُد، ولا مُجتمعَ بلا أُسَر، لذلكم أقسمَ الله- جلَّ شأنُه- بأصل الأُسرة؛ إذ قال- جلَّ وعلا-: (لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ) (البلد: ١- ٤).

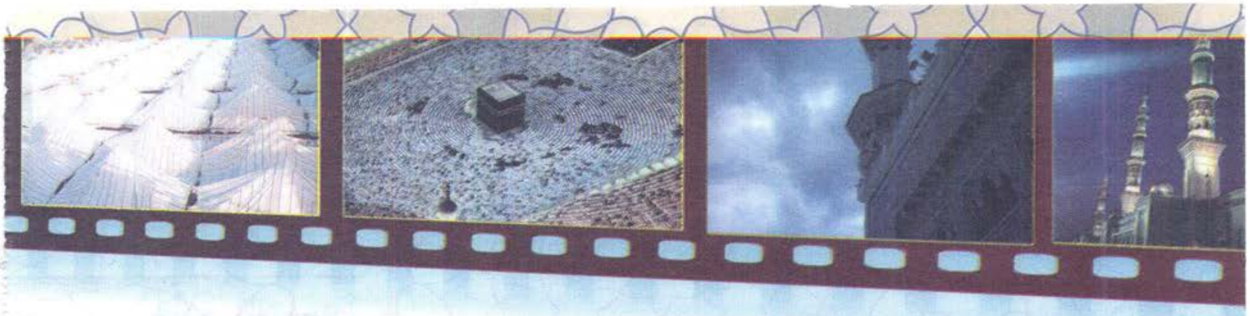
قال بعض المفسِّرين: "إن المقسَمَ به في الآية: آدمُ- عليه السلام- وما ولَدَ من ذريَّته؛ فإن الله- جلَّ شأنُه- لما أقسمَ بالبلَد الذي هو أصلُ الساكن، أقسمَ بعدَه بساكنِ البلد، فكأنَّه أقسمَ بأصول الموجُودات".

وبهذا القَسَمُ يظهرُ الوالدُ والولَد الذين تتكوَّنُ منهم الأُسرة، وقد قال النبيُّ- صلى الله عليه وسلم-: «والرَّجُلُ راعٍ في أهلِ بيته ومسؤولٌ عن رعيَّته، والمرأةُ راعيةٌ في بيتِ زوجِها ومسؤولةٌ عن رعيَّتها» (رواه البخاري ومسلم).

خطورة العنف الأسري:

إذا تبيَّن ذلكم- عباد الله-، فلنعلَم أن العُنفَ الأُسَريَّ من أعظم ما يُهدِّدُ كيانَ الأُسرة المُسلمة، ويثلمُ لُحمَتَها، ويُبدِّدُها شذَرَ مذَر، لتنتقِلَ عدواها إلى ما يُجاورُها من أسَر وبيُوتات، فتنشَأُ حالةٌ من الوُجوم والاضطراب، تتجاذَبُهما حاضناتٌ من التهوُّر والقسوَة، والجهل بالحقوقِ والواجبات والمسؤوليَّات.

العُنفُ- عباد الله- شرٌّ كلُّه، والرِّفقُ خيرٌ كلُّه، وما كان العُنفُ في شيءٍ إلا شانَه، وما نُزِعَ من شيءٍ إلا زانَه، وإنه ما كان الرِّفقُ في شيءٍ إلا زانَه، وما نُزِعَ من شيءٍ إلا شانَه.



العُنفُ- عباد الله- داءٌ لا خيرَ فيه البتَّة، وهو قبيحٌ يعظُمُ قُبحُه وضررُه حينما يطالُ ذوي القُربَى، فإنِ العُنفَ ظلمٌ ووقعُه على ذوي القُربَى أشدُّ مضاضةً على النَّفسِ من وَقعِ الحسامِ المهنَّد.

العُنفُ- عباد الله- سُلوكٌ مَشينٌ مُتعمَّدٌ، يُلحِقُ الضَّررَ بالمُعنَّفِ به، جسديًّا أو ماليًّا أو نفسيًّا، وهو يصلُ في بعضِ المجتمعات والبيئات إلى شبه ظاهرة؛ لتكاثُرِ وقوعِها، وفداحةِ مغبَّاتها، فإنِ ضحاياها كُثُر، وأحاديثُ الإعلام ومواقعِ التواصُل عنها في ازدياد ملحُوظ، وهو يُمثِّلُ خطرًا غيرَ هيِّنٍ على استقرارِ المُجتمَع، اجتماعيًّا وسُلوكيًّا، ما يستدعي وجوبَ شحذِ الهِمَمِ في التصدِّي له، ببيانِ أسبابه وحاضناته، وبَذلِ الدراسات والاستشارات التي تحُدُّ منه، إن لم تقضِ عليه بمرَّة.

وهو وإن لم يكُن بدعًا من المُجتمعات، إلا أنه لا يُبرِّرُ التكاسُلَ تجاهه، أو إعطاءَه أقلَّ الاجتماعيَّة. وإنه ما من داءٍ اجتماعيٍّ إلا وله دواءٌ، علِمَه من علِمَه، وجهِلَه من جهِلَه.

وإن دينَنا الحنيفَ لم يدَعْ لنا خيرًا إلا دلَّنا عليه، ولا شرًّا إلا حذَّرَنا منه، وإن أولَ عُنفٍ أسريٍّ وقعَ في البشريَّة قد قصَّه علينا ربُّنا- جلَّ وعلا- في كتابه العزيزِ الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه، تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ، فقد قال الله في مُحكَم التنزيل عن أول عُنفٍ أسريٍّ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ (المائدة: ٢٧- ٣٠).

هذه صورةٌ واحدةٌ من صُور العُنفِ الأُسريِّ، وهي أعلاها خطرًا وجُرمًا؛ لبُلوغها درجةَ إزهاقِ النفس بغير حقٍّ، وما دُون ذلكم من الصُّور لا يُمكنُ حصرُه، غيرَ أن من أهمِّها: الضربَ المبرِّح، أو التهديدَ بالطلاق، أو الحرمانَ من النَّفقة، أو الظُّلمَ في العطيَّة بين الأولاد أو بين الزوجات، ونحو ذلكم. هذا إذا كان العُنفُ صادرًا من قِبَلِ الزوج.

أما إن كانَ من قِبَلِ الزَّوجَة، فمن صُوره: التربُّصُ بالزوج من خلال هَدرِ حُقوقه، وتأليبِ الأولاد على عُقوقه جسديًّا ونفسيًّا وماليًّا. وقُولوا مثلَ ذلكم في العُنفِ الصادرِ من الأولاد تُجاه الوالدَين أو أحدهما.

أسباب العنف الأسري:

إذا عُلِمَ ذلكم- عباد الله-، فاعلَمُوا أن للعُنفِ الأُسريِّ أسبابًا كثيرةً، يأتي في مُقدِّمتها:

ضعفُ الوازِعِ الدينيِّ لدَى كثيرٍ ممن يُمارِسُون العُنفَ الأسريَّ.

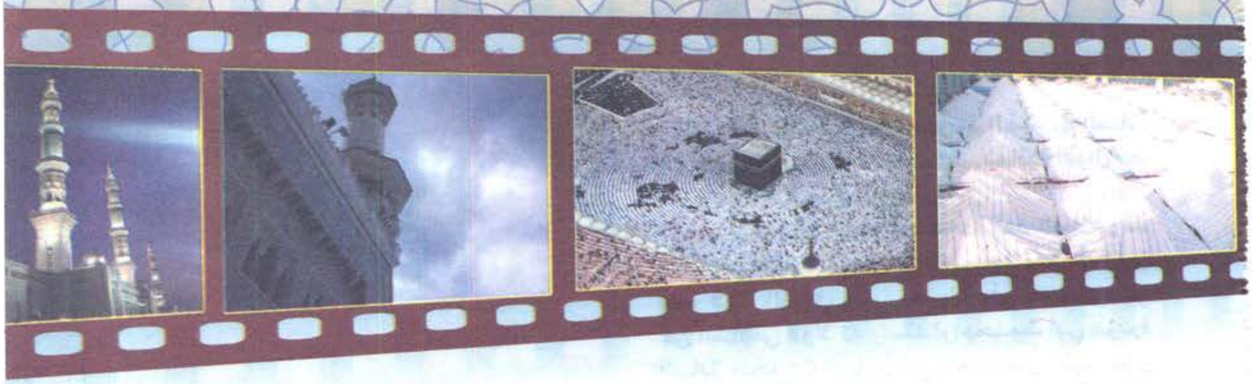
يُضافُ إلى ذلكم: جهلُ المُعنِّفِ بالحقوق والواجبات التي ينبغي أن يُؤدِّيَها على ما كُلِّفَ به منها.

كما أن تعاطيَ المُسكرات والمُخدِّرات وغيرها من أنواع الكُيُوف القتَّالة سببٌ مُنتشر انتشارَ النار في الهَشيم، لدَى من أُصيبُوا بلوثَةِ العُنفِ الفتَّاكة.

ولربَّما كان من أسبابِ العُنف: ما يتلقَّاهُ المُشاهدُ من إسقاطٍ إعلاميٍّ، عبرَ الأفلام، والمسلسلات التي يُستعمَلُ فيها العُنفُ، حتى تؤزَّ المُشاهدَ أزًّا على مُحاكاتها أو التطبُّع بطَبعِها؛ لما لها من أثرٍ بالغٍ في التلقينِ الذهنيِّ الآسر.

يُضافُ إلى ما مضَى- عباد الله-: الأمراضُ النفسيَّة والاجتماعيَّة، كذلك اضطرابُ أحد الزَّوجين أو كليهما في العلاقة الزَّوجية.

وبمثلِ تلكُم الأسبابِ تبرزُ آثارُ العُنف على الأُسرة ثم المُجتمع، فلا تسألُوا حينئذٍ عما يُحدِثُه العُنفُ الأسريُّ من الشَّرخِ العَميقِ لحِصنِ الأُسرَة المُستقرِّ، المبنيِّ على أساس السَّكَن والمودَّة والرحمة، كما قال



الله تعالى: (وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (الروم: ٢١).

ناهيكم- عباد الله- عن تفلُّت الفتَيات والفتيَان من البُيُوت، فرارًا من ذلكم العُنف الممقُوت بعد الاكتواء بلهيبه، وما ينتُجُ عنه من جرائم ووقوع في المُسكرات والمخَدّرات هروبًا من الواقع المُؤلم.

وقد يتعدَّى الأمرُ إلى أبعَدَ منَ ذلكم، ليصلَ درجة الانتحار بقتل المُعنَّف نفسه، ولربما تشرَّبَت الأُسرةُ خُلُقَ العُنف من مُمارسة الوالدَين؛ ليُكرِّرَ الطفل ذلكم حينما يكبُر، فتُصبحُ وراثةً خُلقيَّة، أو أن يُصابَ الأولادُ بالقلق المُزمِن والاضطراب النفسيِّ خوفًا من المُستقبَل، فيكرَهُون الزواجَ، ويكرَهُون الأُسرة، فينقلبُون عبئًا ثقيلاً على المجتمع، أمنيًّا واجتماعيًّا واقتصاديًّا وتربويًّا، والله- جل وعلا- قد قال لسيِّد الخَلق وأكرمهم وأحلمهم: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ) (آل عمران: ١٥٩).

وسائل الحد من العنف الأسري:

وإن مُعضلةَ العُنف الأُسريِّ لجَديرةٌ بأن تكون من أولويَّاتِ اهتمامات المُجتمع المُسلم؛ لأن استقرارَه الاجتماعيَّ والنفسيَّ لا يُمكنُ أن يتحقَّقَ بمنأًى عن استقرار الأُسرة التي هي أسٌّ في المُجتمع، فكان لزامًا على المُؤسَّسات التعليمية والإعلامية والاجتماعي- العامُّ منها والخاصّ- أن تُعنَى بتلكم المُعضلة أيَّما عِناية، وذلكم بالتوعية الفكريَّة المُنضبطة لقيمة الأُسرة في المُجتمع، وتحصيلِ سُبُل استقرارها، ودَفع سُبُل تفككها قبل الوقوع، أو برفعها بعد الوقوع.

وتقديم الدراسات والدورات الصفِّيَّة والميدانيَّة، التي تقضي على العُنف الأُسريِّ أو تحُدُّ منه بنسبة كبيرة على أقلِّ تقدير.

كما أنه ينبغي للجهات المُشرِّعة أن تُوليَ اهتمامًا بالغًا في سَنِّ ما من شأنه ضبطُ الأُسرة، وسنِّ ما يُمكنُ من خلاله اتِّخاذ الإجراءات اللازمة للمُمارسات اللامسؤُولة، من قِبَل الأولاد تُجاه الأبوَين، أو من الأبوَين تُجاه الأولاد، أو من الزَّوجَين تُجاه أحدهما، أو التعسُّف والانحراف عن أمر الله، بإبراز الفتُوَّة في استخدام الولايَة؛ لتنقلبَ من إرفاقٍ بالأُسرة إلى شقاقٍ بها.

كما أن على المُؤسَّسات التعليمية مسؤُوليَّةً كُبرى في استحداث الموضوعات الدراسيَّة التي تُعنَى بشأن الأُسرة، في كافة مراحل التعليم، من مُنطلَق أن الوقاية خيرٌ من العلاج.

فإن مثلَ تلكم الاهتمامات الجادَّة تمنَحُ الأُسَرَ والبُيُوتات وعيًا مُلازِمًا، يُمكنُ بمُوجَبه الخروجَ من زوبعة ذلكم الطَّبع الشارخ سياجَ الأُسرة واستقرار المجتمع، (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) (التحريم: ٦).

هذا وصلُّوا- رحمكم الله- على خير البريَّة، وأزكى البشريَّة: محمد بن عبد الله صاحب الحوض والشفاعة؛ فقد أمرَكم الله بأمر بدأ فيه بنفسه، وثنَّى بملائكته المُسبِّحة بقُدسه، وأيَّه بكم- أيها المُؤمنون-، فقال- جلَّ وعلا-: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا) (الأحزاب: ٥٦).

اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين، اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين، واخذُل الشركَ والمشركين، اللهم انصُر دينَك وكتابَك وسُنَّةَ نبيِّك وعبادَك المؤمنين.

اللهم فرِّج همَّ المهمُومين من المُسلمين، ونفِّس كربَ المكرُوبين، واقضِ الدَّيْنَ عن المَدينين، واشفِ مرضانا ومرضَى المُسلمين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم آمنَّا في أوطاننا، وأصلح أئمَّتَنا وولاةَ أمورنا، واجعَل ولايتَنا فيمن خافَك واتَّقاك واتَّبعَ رِضاكَ يا رب العالمين.



باب الفقه

أحكام الصلاة

سجود السهو

الحلقة الثانية

إعداد/ د. حمدي طه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

بدأنا في الحلقة السابقة بالحديث عن سجود السهو، وتكلمنا عن تعريف سجود السهو، ثم مشروعيته، ثم حكمه، ثم أسبابه، ثم ختمنا الكلام بالأحاديث الصحيحة التي عليها مدار باب سجود السهو، وفي هذه الحلقة نكمل الحديث فنقول وبالله التوفيق:

محل سجود السَّهو:

اختلف أهل العلم في محل سجود السَّهو في الصلاة هل يكون قبل السلام أم بعده على ثمانية أقوال كما ذكر ذلك العراقي في شرح الترمذي:

الأول: أن سجود السهو كله محله بعد السلام وقد ذهب إلى ذلك جماعة من الصحابة ومن التابعين وهو قول الثوري وأبي حنيفة وأصحابه. وحكى عن الشافعي قولاً له واستدلوا بحديث أبي هريرة السابق وبحديث ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لكل سَهْو سَجْدَتَانِ بَعْدَمَا يُسَلِّمُ. « صحيح أبي داود « برقم ٥٩٤ وبسائر الأحاديث التي ذكر فيها السجود بعد السلام.

القول الثاني: أن سجود السهو كله قبل السلام وقد ذهب إلى ذلك من الصحابة أبو سعيد الخدري وبه قال الأوزاعي والليث بن سعد والشافعي في الجديد وأصحابه (واستدلوا) على ذلك بحديث عبدالله بن بحينة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بهم الظهر فقام في الركعتين الأوليين ولم يجلس فقام الناس معه حتى إذا قضى الصلاة وانتظر الناس تسليمه كبر وهو جالس فسجد سجدتين قبل أن يسلم ثم سلم. رواه الشيخان وبالأحاديث التي ذكر فيها السجود قبل السلام.

القول الثالث: التفرقة بين الزيادة والنقص فيسجد للزيادة بعد السلام وللنقص قبله وإلى ذلك ذهب مالك وأصحابه والمزني وأبو ثور وهو قول الشافعي. وَدَلِيلُهُمْ حَدِيثُ ابْنِ بُحَيْنَةَ وفيه...فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ وَأَمَّا الزِّيَادَةُ فَيَسْجُدُ بَعْدَ السَّلَامِ لحديث ذِي الْيَدَيْنِ وحَدِيث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وفيه... ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَتَيِ السَّهْوِ قال ابن عبد البر: وبقول مالك هذا ومن تابعه يصح استعمال الخبرين جميعًا في الزيادة والنقصان واستعمال الأخبار على وجوهها أولى من ادعاء النسخ فيها. (التمهيد لابن عبد البر ٥/ ٣٠).

القول الرابع: استعمال كل حديث كما ورد وما لم يرد فيه شيء سجد قبل السلام وإلى ذلك ذهب أحمد بن حنبل قال ابن قدامة: ولنا: أنه قد ثبت عن النبي صلى الله عليه و سلم السجود قبل السلام وبعده في أحاديث صحيحة متفق عليها ففيما ذكرناه عمل بالأحاديث كلها وجمع بينها من غير ترك شيء منها وذلك واجب مهما أمكن (المغني ١/ ٧٠٩) قال ابن دقيق العيد: هذا المذهب مع مذهب مالك متفقان في طلب الجمع وعدم سلوك طريق الترجيح لكنهما اختلفا في وجه الجمع. (إحكام الأحكام ١/ ٢٧٨).

القول الخامس: يستعمل كل حديث كما ورد وما لم

يرد فيه شيء فما كان نقصًا سجد له قبل السلام وما كان زيادة فبعد السلام وإلى ذلك ذهب إسحاق بن راهويه، قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: فَحَرَّرْ مَذْهَبه مِنْ قَوْلَيْ أَحْمَد وَمَالك، وهو أعدل المذاهب فيما يظهر. (فتح الباري ٣/٩٤).

القول السادس: أن الباني على الأقل في صلاته عند شكه يسجد قبل السلام على حديث أبي سعيد الآتي والمتحري في الصلاة عند شكه يسجد بعد السلام على حديث ابن مسعود وإلى ذلك ذهب أبو حاتم ابن حبان فقال: هذه أخبار أربع يجب أن تستعمل ولا يترك شيء منها فيفعل في كل حالة مثل ما وردت السنة فيها سواء؛ فإن سلم من الاثنتين أو الثلاث من صلاته ساهيًا أتم صلاته وسجد سجدتي السهو بعد السلام على خبر أبي هريرة وعمران بن حصين اللذين ذكرناهما، وإن قام من اثنتين ولم يجلس أتم صلاته وسجد سجدتي السهو قبل السلام على خبر ابن بحينة، وإن شك في الثلاث أو الأربع يبني على اليقين على ما وصفنا وسجد سجدتي السهو قبل السلام على خبر أبي سعيد الخدري وعبد الرحمن بن عوف وإن شك ولم يدر كم صلى أصلاً تحرى على الأغلب عنده وأتم صلاته وسجد سجدتي السهو بعد السلام على خبر ابن مسعود الذي ذكرناه؛ حتى يكون مستعملا للأخبار التي وصفناها كلها، فإن وردت عليه حالة غير هذه الأربع في صلاته ردها إلى ما يشبهها من الأحوال الأربع التي ذكرناها (صحيح ابن حبان ١٩٣/١).

فائدة في التفريق بين الشك والتحري في السهو:

الشك: هو التردد بين أمرين دون ترجيح أحدهما على الآخر.

أما الظن (وهو التحري): فهو التردد بين أمرين مع ترجيح أحدهما على الآخر.

قال العمريطي في تَسْهيلُ الطُّرُقَات في نَظْم الوَرَقَات:

والظن تجويز امرئ أمرين... مرجحًا لأحَدِ الأمرينَ

والشك تحرير بلا رجحان... لواحدٍ حيث استوى الأمران

والشك لا يلتفت إليه في العبادات في ثلاث حالات:

الأولى: إذا كان مجرد وهم لا حقيقة له كالوسواس.

الثانية: إذا كثر مع الشخص بحيث لا يفعل عبادة إلا حصل له فيه شك.

الثالثة: إذا كان بعد الفراغ من العبادات فلا يلتفت إليه ما لم يتيقن الأمر فيعمل بمقتضى يقينه. (رسالة في سجود السهو للعثيمين ص٤).

ولقد فرَّق النبي- صلى الله عليه وسلم- بينهما في الحكم، ففي الشك روى مسلم عن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنهم- قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- «إذا شك أحدكم في صلاته فلم يدرِ كم صلى؟ ثلاثًا أم أربعاً؟ فليطرح الشك وليبنِ على ما استيقن، ثم يسجد سجدتين قبل أن يسَلم». (رواه مسلم ٥/٦٠)

وفي التحري- فقد روى البخاري ومسلم عن ابن مسعود- رضي الله عنهم- قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: «وأيُّكم ما شكَّ في الصلاة، فليتحرَّ أقربَ ذلك من الصواب، فيتم عليه ويسلم، ويسجد سجدتين» (البخاري ٤٢٢/١، ومسلم ٥٧٢)

والتفرقة بين التحري والبناء على اليقين قال بها أحمد بن حنبل فيما ذكره ابن عبد البر في التمهيد، وقال الشافعي وداود وابن حزم: إن التحري هو البناء على اليقين، وحكاه النووي عن الجمهور (انظر نيل الأوطار- الشوكاني ١٣١/٣).

القول السابع: أنَّه يتخير الساهي بين السجود قبل السلام وبعده سواء كان لزيادة أو نقص وحكي عن علي رضي الله عنه وقولا للشافعي وعن الطبري ودليلهم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صح عنه السجود قبل السلام وبعده فكان الكل سنة قال البيهقي: والأحاديث في السجود قبل السلام وبعده قولا وفعلا ثابتة، وتقديم بعضها على بعض غير معلوم برواية موصولة صحيحة، فالأشبه جواز الأمرين (معرفة السنن والآثار٣/٤٤٣).

القول الثامن: أن محله كله بعد السلام إلا في موضعين فإن الساهي فيهما مخير، وإلى ذلك ذهب أهل الظاهر.قال ابن حزم: وسجود السهو كله بعد السلام إلا في موضعين، فإن الساهي فيهما مخير بين أن يسجد سجدتي السهو بعد السلام، وإن شاء قبل السلام أحدهما: من سها فقام من ركعتين ولم يجلس ويتشهد، والموضع الثاني: أن لا يدري أصلى ركعة أم ثلاثًا أم أربعًا فيبني على الأقل ويخير في السجود فإذا تشهد في آخر صلاته فهو مخير إن شاء سجد سجدتي السهو قبل السلام، ثم يسلم وإن شاء سلم ثم سجد سجدتي السهو. (المحلى ١٧٠/٤ بتصرف).

قال النووي: قال القاضي عياض-رحمه الله تعالى- وجماعة من أصحابنا ولا خلاف بين هؤلاء المختلفين وغيرهم من العلماء أنه لو سجد قبل السلام أو بعده للزيادة أو النقص أنه يجزئه ولا تفسد صلاته وإنما اختلافهم في الأفضل. (شرح النووي على صحيح مسلم ٥٧/٥).

وللحديث بقية إن شاء الله، ونسأل الله التوفيق والقبول.

التنمية البشرية من خلال أصول شرعية

المسلم بين إرادة التغيير وإدارته

الحلقة الثانية

إعداد/ دكتور: ياسر لمعي عبد المنعم
أستاذ الإدارة والتنمية البشرية المساعد
بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية
بجامعة التضامن الفرنسية العربية

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وبعد:

ذكرنا في المقال الأول أننا بحاجة للتغيير والتطوير والتنمية، نعم نحن بحاجة لتغيير العادات وتطوير الآليات وتنمية المهارات، فكانت أولى التوصيات أن نضع مقياساً ومعياراً لأفعالنا وأقوالنا لكي نحدد الدرجة التي نحن عليها، ومدى قبولنا عند الناس، ومدى تأثيرنا فيهم، والوجهة التي نريدها فما يمكن قياسه يمكن تقييمه وتقويمه، ثم العمل على تقوية الثقة بالله وحسن التوكل عليه. كما أننا وعدنا بعرض بعض طرق استنهاض الثقة بالنفس والعمل على تقويتها؛ لكي نتخذ القرار الصائب بالتغيير للأفضل والأحسن والأصوب.

ولسوف نتغير- إن شاء الله- من الكذب إلى الصدق، ومن الخيانة إلى الأمانة، ومن الحقد والحسد إلى الرضا، ومن التردد إلى العزم.. إلخ.

ولقد انتقيت لك عوامل استنهاض الثقة بالنفس وتقويتها في كلمة: «لقطات» وقد جمعها الدكتور موسى المزيدي، حفظه الله، وهي قناعات مهمة لا بد لكل شخص أن يُفعلها ويجعلها أمامه، ويمكننا فك رموزها على النحو الآتي:

أما (اللام):

فمعناها لا ترضى أن يصفك أحد بوصف لا يليق (وأنت كذلك لا تفعل)، كأن يقول لك إنسان: (أنت فاشل!) فقل له: (لا).. لا بد من تحديد مواطن الفشل، بحيث لا يتم إطلاق الكلمة على عمومها، فتكون سبّاً وتجريحاً لا نقداً وتوجيهاً، كذلك العمل على استبدال الألفاظ التي ترسل برسائل سلبية في النفس مثل: "دعونا نستغل الوقت" تُستبدل بـ"دعونا نغتنم الوقت". وإذا دخلت في فصلك أو مكانك لا تقل: مَن الناقص؟ بل قل: من الغائب؟ فإن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لما رأى أناساً يستضيئون بالنار: السلام عليكم يا أهل الضوء.. وكره أن يقول السلام عليكم يا أهل النار. وقد ثبت في السنة تغيير النبي صلى الله عليه وسلم لأسماء بعض الأصحاب من صعب لسهل، وغيّر اسم زوجته (برة) إلى جويرية. كذلك جاء الأمر في القرآن بتغيير بعض الألفاظ «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾» (البقرة: ١٠٤)، فانتقاء الألفاظ تجعلك يقظاً واثقاً بنفسك.

أما (القاف):

فتعني قبول النقد، فلا بد أن يكون لديك قناعة بأهمية قبول النقد البنّاء دائماً وأبداً.. فالنقد البنّاء مهم لتصحيح المسائل. أزيدك من الشعر بيتاً.. بل اقبل النقد الهدام فالفرق بين هذا وذلك يكمن في الطريقة والأسلوب حيث تأثير التربية والنشأة، ولكن انظر لمحتوى النقد؛ لأن البشر يقعون في الأخطاء، و«كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون».

فلا بد-إذن-من قبول النقد لتصحيح الأوضاع وتعديل المسارات، كيما نتخلص من نقاط الضعف في شخصيتنا ونقوي نقاط القوة فيها وتذكر.. إذا أردت أن تكون مقبولاً لدى الكل سليماً من العيوب فقد طلبت مستحيلاً، وأمّلت أملاً بعيداً. ولتحسن الظن في إخوانك، ولتعلم أن نقدهم للرأي وليس لشخصك وذاتك، وقد قبل النبي صلى الله عليه وسلم النقد من اليهود (أظنه نقداً هداماً) لما أتى أحد اليهود إلى النَّبيِّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم، فَقَالَ: إنَّكُمْ تُنَدِّدُونَ، وَإِنَّكُمْ تشركونَ، تَقُولُونَ مَا شاءَ اللهُ وَشِئْتَ، وَتَقُولُونَ وَالْكَعْبَةِ". فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ أن يقولوا: وَرَبِّ الْكَعْبَةِ. وَيَقُولُ أَحَدُهُمْ مَا شاءَ اللهُ، ثُمَّ شئْتَ". وقد قبل بعده كبار الصحابة وصغارهم النقد ممن دونهم في السن وفي العلم، اعلم أن قبولك للآخر تقوية لثقتك بنفسك فلن تعيش معزولاً عن الناس وعن أقوالهم فانتقِ النقد ودع الشخص وأسلوبه.

أما (الطاء):

طلب المساعدة متى احتاج إليها الإنسان حقيقة، فالمساعدة-هنا-يجب أن تكون ضرورية، ليس كأن يقع مني شيء فأطلب من أي شخص أن يناولنيه،

فهذا لم يكن من هدي الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم يكن موجوداً في سلوكيات الصحابة رضي الله عنهم.

فقد كان الصحابي حين يمتطي جواده فيسقط منه السوط، فلا يطلب من أحد أن يناوله إياه، بل ينزل ويأخذه بنفسه!

إن مقصودنا من طلب المساعدة: أن تكون هذه المساعدة ملحة وضرورية، ومن أمثلة ذلك: إن كُلفت بعمل مهم وتعطلت سيارتك في الطريق، فعليك أن تخرج وتطلب المساعدة؛ لأنك محتاج إليها حقًا، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه، ولطالما حثّنا الإسلام على السعي لتحقيق حاجات الناس، كذلك طلب المساعدة فيما استُشكل فهمه وسؤال أهل العلم والخبرة قال تعالى: «فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون» (سورة النحل: ٤٣).

وقد طلب النبي صلى الله عليه وسلم المساعدة من الصحب الكرام، ففي حديث غزوة بدر قال: أشيروا علي أيها الناس. وطلب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عام الرمادة المساعدة من عمرو بن العاص بقوله: واغوثاه واغوثاه واغوثاه!

وقد طلب خالد بن الوليد المدد والمساعدة من عياض بن غنم لما حُوصر في عين التمر فكتب له: إياك أريد! فالسؤال غير محرم، والمعلومات مباحة، والحوار مندوب، والشورى واجبة، وسؤال أهل العلم عبادة، فلا تغلق على نفسك سرداب الوحداوية فأنت بالناس وهم بك.

أما (الألف):

فتعني ضرورة الإشادة بجهود الآخرين، ونسبة فضائلهم ومعروفهم إليهم، فلا بد من تقدير جهود الآخرين، ولا بد من تقديم آيات الشكر والعرفان للمحسنين، بأن نقول لهم: شكرًا لكم وجزاكم الله خيرًا، أو أحسن الله إليكم كما أحسنتم.

لنفرض أنك قمت بإعداد عمل ما وتعبت في إعداده وقدمته إلى رئيسك في العمل، ثم أخذه منك ووضعه في الدرج دون أن تسمع منه كلمة شكر! نقول لك: لا تحزن وتقدم في عملك فهذا المسئول فيه شيء من الغبن؛ إذ لا بد من الإشادة بجهود الناس، ونسبتها إليهم وشكرهم عليها، فقد ثبت عن نبينا صلى الله عليه وسلم: (من صنع إليكم معروفًا فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه)، وقوله: (من لا يشكر الناس لا يشكر الله)، يعني أن من كان من طبيعته وخلقه عدم شكر الناس على معروفهم وإحسانهم إليه فإنه لا يشكر الله؛ لسوء تصرفه ولجفائه، فإنه يغلب عليه في مثل هذه الحال أن لا يشكر الله. فمما ينبغي على المؤمن أن يشكر لمن أحسن إليه من أقارب وغيرهم، كما يجب عليه، من قبل ومن بعد، شكر الله سبحانه وتعالى على ما أحسن إليه.

فشكر الناس من طرق التواصل الآمن معهم، وقد يفتح الله لك القلوب فتلقى قبولاً فتقوى ثقتك بنفسك.

أما (التاء):

فتعني توجيه النصيحة بطريقة صحيحة، وعدم جرح الشخص الذي أمامك فالدين النصيحة؛ وتوجيه النصيحة صفة أصيلة من صفات الشخص الواثق بنفسه، فالنصيحة معلم بارز من معالم الأخوة الإسلامية، وهي من كمال الإيمان، وتمام الإحسان؛ إذ لا يكمل إيمان المسلم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وحتى يكره لأخيه ما يكره لنفسه، وهذا هو دافع النصح. وفي حديث تميم الدَّارِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "(الدِّينُ النَّصِيحَةُ)، قُلْنَا لِمَنْ؟ قَالَ: "لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ".

وللنصيحة آداب عامة ينبغي أن يتحلى بها الناصح الشفيق، منها:

-أن يكون دافعه في النصيحة محبة الخير لأخيه المسلم، وكراهية أن يصيبه الشر.

- وأن يكون حصيفًا في لفت غيره للخطأ.

- وأن يعمل على الابتعاد عن النقد المباشر، وأن يختار ألطف الألفاظ، وأرقى الأساليب، وأفضل الأوقات.

- وأن يجعل نقده محموداً، ويقدمه بدعابة، وليس باستهزاء.

- أن يتحدث عن السلوك والفعل، وليس عن ذات الشخص.

- أن يحسن الظن في الآخرين.

- أن يتعامل مع الجميع بالود والمحبة، فربما يكون مخطئًا في تصوراته وأحكامه.

- أن يعلم أنه لا إنكار في مسائل الخلاف.

بهذه الطرق الخمس التي جُمعت في كلمة "لقطات".. أرجو أن أكون ساهمت معك في وضع النقاط على الحروف في قرار التغيير وعناصره وطرقه.

دمتم في أمان الله وحفظه.

إعلان النكير على غلاة التكفير

الحلقة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين .. أما بعد:

تكلمنا في العدد السابق عن خطورة التكفير وانتهينا في الحديث إلى الضوابط والمعايير المتعلقة بمسألة التكفير وأنه لابد من بيان مسألتين ضلت فيهما طوائف من المسلمين بسبب عدم ضبطهما وسوء فهمهما.

إعداد/ معاوية محمد هيكل

المسألة الأولى:

يمكن تقسيم الكفر والشرك بعدة اعتبارات على النحو الآتي:

(١) باعتبار نوعه؛ فهو نوعان: أكبر وأصغر:

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: "الشرك نوعان: شرك أكبر، وشرك أصغر:

فالنوع الأول: الشرك الأكبر: وهو كل شرك أطلقه الشارع، وكان مُتضمِّنًا لخروج الإنسان عن دينه.

النوع الثاني: الشرك الأصغر: وهو كل عمل قولي أو فعلي أَطلق عليه الشرع وصْفَ الشرك، ولكنه لا يُخرج من الملة" (مجموع الفتاوى والرسائل ٦/٣٦).

فالكفر الأكبر يُناقض أصل الإيمان، بخلاف الأصغر؛ فإنه لا يناقض أصل الإيمان؛ إنما يَنقصُه ويُضعفه؛ وقد أطلقه الشارع على بعض المعاصي والذنوب على سبيل الزجر والتهديد.. فيكون أشدَّ حرمة من سائر الذنوب والخطايا.

(٢) باعتبار النصوص الشرعية؛ فهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: مَن نصّ الشرعُ على تكفيره بعينه، كالشيطان وفرعون وهامان، وأبي لهب، وأبي جهل.. وغيرهم

القسم الثاني: مَن نصّ الشرعُ على تكفيره بجنسه، مثل اليهود والنصارى والصابئة والمجوس..

هذان القسمان يجبُ اعتقاد كُفر مَن تحتَهما.

القسم الثالث: مَن نصّ الشرع على تكفيره بوصفه، وهو كل قول أو عمل أو اعتقاد جاء النصُّ الشرعيُّ بتسميته كُفرًا أو شركًا.

فمنه ما يكون كفرًا وشركًا أكبر مخرجًا من الإسلام، كالكاهن والساحر والعرّاف، والمستهزئ بالله، أو بآياته، أو برسوله، أو من ادّعى علم الغيب...

ومنه ما يكون كفرًا وشركًا أصغر غير مخرج من الإسلام، كيسير الرياء، وقتال المسلم، والحلف بغير الله، والطعن في الأنساب، والنياحة على الميت..

وأهم ضوابط تمييز الشرك الأصغر عن الأكبر: ما قاله العلامة صالح آل الشيخ حفظه الله: "الشرك الأصغر: هو كلُ ذَنْب أو معصية سمّاها الشارع شركًا، ولم تبلغ درجة عبادة غير الله معه" (شرح الطحاوية ٢/١١٠٠).

(٣) وينقسم- كذلك - باعتبار مَخرجه إلى ثلاثة أقسام:

الأول: الكفر بالاعتقاد، كاعتقاد الشريك لله، والولد والصاحبة- تعالى الله عن هذا- وكالرياء في العبادات.

الثاني: الكفر بالفعل، كالسجود للصنم، وقتال المسلم، وترك الصلاة.

الثالث: الكفر بالقول، كسبّ الله تعالى، وسبّ رسوله صلى الله عليه وسلم، والحلف بغير الله...

ويندرج تحت هذه الأقسام الثلاثة ما يكون شركا أكبر، وما يكون

شركا أصغر، كما جاء في أمثلة كلٍّ منها
(٤) وينقسم الكفر والشرك باعتبار الحكم إلى نوعين:
الأول: كفر وشرك مطلق (تكفير النوع أو الفعل): وهو الحكم على ما وصفه الشارع بأنه كفر أو شرك بإطلاق؛ فيُقال: من فعل كذا فقد كفر أو أشرك..
والثاني كفر وشرك مُعيّن (تكفير العَين أو الفاعل): وهو إنزال حكم الكفر أو الشرك على شخص بعينه.
قال شيخ الإسلام رحمه الله: "التكفير: له شروط وموانع قد تنتفي في حق المعين" (الفتاوى (١٢/٤٨٧-٤٨٨) بتصرف يسير).
والتكفير المطلق: لا يستلزم تكفير المعيّن؛ فإطلاق الحكم لا يَستلزم التعيين؛ إلا إذا وُجدت الشروط، وانتفت الموانع.
قال شيخ الإسلام رحمه الله: "المقالة التي هي كُفر بالكتاب والسنة والإجماع: يُقال: هي كفر، قولا يطلق كما دل على ذلك الدلائل الشرعية. فإن الإيمان من الأحكام المتلقّاة عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم؛ ليس ذلك مما يَحكم فيه الناس بظنونهم وأهوائهم.. ولا يجبُ أن يُحكم في كل شخص قال ذلك بأنه كافر، حتى يَثبُتَ في حقّه شروط التكفير، وتنتفي موانعه" (الفتاوى ٣٥/١٦٥).
فتكفير الأوصاف (المطلق): يجبُ اعتقاده على كل من بلغه النص الشرعي الدالُ عليه
وأما تكفير الأعيان: فإن كان ثمة نصٌ على كفرهم كإبليس وفرعون.. فيجب اعتقاد كفرهم التزامًا بالنص الشرعي. وإن لم يكن هناك نصٌ في كفرهم بأعيانهم؛ فيعود الأمر إلى أهل الاجتهاد للحكم عليهم.
قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "فالواجب قبل الحكم بالتكفير أن يُنظر في أمرين: الأمر الأول: دلالة الكتاب والسنة على أن هذا مُكفِّر؛ لئلا يفتري على الله الكذب. الثاني: انطباق الحكم على الشخص المعيّن؛ بحيث تتم شروط التكفير في حقه، وتنتفي الموانع" (مجموع فتاوى الشيخ ١٣٤/٢).
فمن الخطورة بمكان أن يتصدّى عامّة الناس، وأشباه المتعلّمين.. لمسألة الكلام على الأشخاص، والحكم عليهم بالرّدة عن الإسلام، وخلودهم في نار جهنم... فإن ذلك مَظنّة خُسران الآخرة، وحُبوط العمل.. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كانَ رَجُلان في بني إسرائيلَ مُتواخيَين؛ فكان أحدُهما يُذنبُ، والآخرُ مجتهدٌ في العبادة؛ فكان لا يزالُ المجتهدُ يَرى الآخرَ على الذنب؛ فيقولُ: أقصرْ؛ فوجده يوما على ذنب؛ فقال له: أقصر؛ قال: خلِّني وربّي، أبُعثتَ عليَّ رقيبًا؟! قال: والله لا يَغفرُ الله لكَ- أو: لا يُدْخلُكَ الله الجنةَ-! فقبَضَ أرواحَهُما؛ فاجتمعا عند ربِّ العالمين؛ فقال لهذا المجتهد: أكُنتَ بي عالما؟! أو كنتَ على ما في يدي قادرا؟! وقال للمُذنب: اذهبْ فادخُل الجنةَ برحمتي وقال للآخر: اذهبُوا به إلى النار» قال أبو هريرة رضي الله عنه: "والذي نفسي بيده؛ لتكلّمَ بكلمة أوبَقَت دُنياه وآخرَتَه" (صحيح سنن أبي داود ٤٩٠١).
قال شيخ الإسلام رحمه الله: "فليس لأحد أن يكفّر أحدا من المسلمين- وإن أخطأ وغلط- حتى تُقام عليه الحجة، وتبيَّن له المحجة، ومَن ثبتَ إيمانه بيقين، لم يَزُلْ ذلك عنه بالشك؛ بل لا يَزول إلا بعد إقامة الحجة، وإزالة الشبهة" (الفتاوى ١٢/٥٠١).
وقال العلامة الشوكاني رحمه الله: "اعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام، ودخوله في الكفر: لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يُقدمَ عليه؛ إلا ببرهان أوضح من شمس النهار" (السيل الجرار ٩٧٨).
ولا يُمكن تقسيم ما يرتدُ بفعله أو قوله المسلمُ إلى ما كان ظاهرا جليًا.. دون التنبه إلى أن الظهور والخفاء مسألة نسبية، تختلف باختلاف الأشخاص والأحوال، والأزمنة والأمكنة.
قال شيخ الإسلام رحمه الله: "فقد يكون الشيء قطعيا عند شخص، وفي حال، وهو عند آخر، وفي حال أخرى: مجهول؛ فضلا عن أن يكون مظنونًا، وقد يكون الشيء ضروريًا لشخص، وفي حال، ونظريًا لشخص آخر، وفي حال أخرى". (درء التعارض ٣/٣٠٤).
ومما يجبُ التنبيه إليه في باب إقامة الحجة على أعيان الناس، وتكفيرهم، وما يترتّب على ذلك من أحكام شرعية: أن هذا الأمر الخطير لا يُقدمُ عليه مَن لا يُحسنه؛ فهو من اختصاص العلماء العارفين بشروطه وموانعه وضوابطه... ولما تصدّى لذلك وتجاسر مَن هم سوى هؤلاء، رأينا هذه الفوضى، وذلك الغلوّ المَشينَ في تكفير المسلمين؛ واستحلالَ دمائهم وأعراضهم.. والله المستعان!
قال الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله: "لا تقوم الحجة؛ إلا بمن يُحسن إقامتها" (منهاج أهل

الحق ٨٥)
وقال الشيخ عبد العزيز آل الشيخ حفظه الله: "مسائل التكفير: من المسائل العظام؛ التي لم يُكلَّف بها عامة الناس، والواجب الحذر من الخوض فيها" (نقلاً عن مجلة الدعوة، عدد ١٩٩٨).

وقال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: "التكفير خطير، لا يجوز لكل أحد أن يتفوّه في حقّ غيره، إنما هذا من صلاحيات الحاكم الشرعي، ومنْ صلاحيات أهل العلم الراسخين في العلم؛ الذين يعرفون الإسلام، ويعرفون نواقض الإسلام، ويعرفون الأحوال، ويدرسون واقع الناس والمجتمعات؛ فهم أهل الحكم بالتكفير وغيره".

أما الجاهل، وأما أفراد الناس، وأنصاف المتعلمين.. فهؤلاء ليس من حقّهم إطلاق التكفير على الأشخاص، أو على الجماعات، أو على الدول؛ لأنهم غير مؤهّلين لهذا الحكم" (مراجعات في فقه الواقع السياسي والفكري ص٥٠).

وقال حفظه الله: "الحكم بالرّدة والخروج من الدّين: من صلاحيات أهل العلم الراسخين في العلم؛ وهم القضاة في المحاكم الشرعية، والمفتون المعتبرون "(مراجعات في فقه الواقع السياسي والفكري (٤٩).

المسألة الثانية: بيان شروط التكفير وموانعه:

ويمكن أن تتلخص بالآتي:

(١) الشرط الأول: العلم، ويقابله: مانع الجهل، قال شيخ الإسلام رحمه الله: "تكفير الشخص المعين، وجواز قتله: موقوف على أن تبلغه الحجة النبوية التي يكفر مَن خالفها، وإلا فليس كل مَن جهل شيئًا مِنَ الدّين يكفر!" (الرد على البكري ٤٩٢/٢).

ودليل ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أن رجلا كان قبلكم، رغسَهُ (أي: وسّع عليه) الله مالاً؛ فقال لبنيه لما حضر: أيُّ أب كنتُ لكم؟ قالوا: خير أب قال: فإني لم أعمل خيراً قط! فإذا متُّ فأحرقوني، ثم اسحقوني، ثم ذَرُوني في يوم عاصف. ففعلوا فجمعه الله عز وجل؛ فقال: ما حملك؟ قال: مخافتك، فتلقاه برحمته» (متفق عليه: ٣٤٧٨، ٢٧٥٧).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "فهذا رجل شكَّ في قُدرة الله، وفي إعادته إذا ذُرّيَ؛ بل اعتقد أنه لا يُعاد! وهذا كفر باتفاق المسلمين، لكن كان جاهلاً لا يَعلم ذلك، وكان مُؤمنا يخاف الله أن يُعاقبه؛ فغفر له بذلك" (الفتاوى ٢٣١/٣)

(٢) الشرط الثاني: قصد الفعل، ويقابله: مانع الخطأ، فقد يفعلُ المسلم الكُفر-أو يقولُه- خطأ منه بغير قَصد؛ فلا يُؤاخَذ بذلك.

ودليل ذلك: عموم قول الله سبحانه وتعالى عندما أنزل: «لا يكلّف الله نفسًا إلا وُسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتَسبت ربّنا لا تُؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا» قال: «قد فعلت» (صحيح مسلم ١٢٦).

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لله أشدُ فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة؛ فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه؛ فأيسَ منها؛ فأتى شجرة؛ فاضطجع في ظلها، قد أيسَ منْ راحلته؛ فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمةً عنده؛ فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي، وأنا رَبُك! أخطأ من شدة الفرح" (صحيح مسلم ٢٧٤٧).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "لم يكفر بذلك، وإن أتى بصريح الكفر؛ لكونه لم يُرِدْه" (إعلام الموقعين ٥٥/٣).

وقال رحمه الله: "وفي الحديث من قواعد العلم: أن اللفظ الذي يَجري على لسان العبد خطأ، من فرح شديد، أو غيظ شديد.. ونحوه: لا يُؤاخَذ به" (مدارج السالكين ٢٢٦/١).

(٣) الشرط الثالث: اختيار الفعل، ويُقابله: مانع الإكراه: فمَن أُكره على قول الكفر أو فعله، من قادر على إيقاع تهديده، مع عجز المكرَه عن دفع ذلك؛ فلا إثم عليه فيما قال أو فعل؛ بشرط طمأنينة قلبه بالتوحيد، وبُغض الكفر.

ودليلُ ذلك: قول الله سبحانه وتعالى: «مَن كفر بالله من بعد إيمانه إلا مَن أكره وقلبه مُطمئن بالإيمان ولكن مَن شرح بالكفر صدرًا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم»

قال أبو بكر الجصاص رحمه الله: "هذا أصل في جواز إظهار كلمة الكفر في حال الإكراه.

والإكراه المبيح لذلك: هو أن يخاف على نفسه، أو بعض أعضائه التّلف إن لم يفعل ما أمره به" (أحكام القرآن ١٣/٥).

(٤) ومن موانع التكفير: التأويل السائغ:

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "المتأوّل الذي قصدُه متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم: لا يُكفّر؛ بل ولا يُفسّق إذا اجتهد فأخطأ، وهذا مشهور عند الناس

في المسائل العملية، وأما مسائل العقائد: فكثير من الناس كفّر المخطئين فيها! وهذا القول لا يُعرَف عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا عن أحد من أئمة المسلمين؛ وإنما هو في الأصل من أقوال أهل البدع؛ الذين يبتدعون بدعة، ويكفرون من خالفهم! كالخوارج والمعتزلة والجهمية" (منهاج السنة ٥/٢٣٩-٢٤٠).

ودليل ذلك إجماع الصحابة رضي الله عنهم في عهد عمر على عدم تكفير من استحلّ شُرب الخمر لشبهة تأويل عَرضت له.

قال الإمام الطحاوي رحمه الله: "إن قدامة بن عبد الله رضي الله عنه شرب الخمر بعد تحريمها، هو وطائفة، وتأوّلوا قوله تعالى: «ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات» الآية.

فلما ذكروا ذلك لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، اتفق هو وعلي بن أبي طالب وسائر الصحابة على أنهم: إن اعترفوا بالتحريم: جُلدوا، وإن أصرُّوا على استحلالها: قُتلوا" (شرح الطحاوية ص٣٢٤).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "فلم يكفّروهم بالاستحلال ابتداء؛ لأجل الشبهة التي عَرضت لهم، حتى يتبيّن لهم الحق؛ فإذا أصرُّوا على الجحود كفروا" (الرد على البكري ٢/٤٩٣).

وأسبابُ الواقعينَ تحت مانع التأويل عديدة، قال شيخ الإسلام رحمه الله: "الأقوال التي يكفر قائلها: قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق، وقد تكون عنده ولم تثبت عنده، أو لم يتمكّن من فهمها، وقد يكون قد عرضت له شبهات يَعذره الله بها.

فمن كان من المؤمنين مُجتهدا في طلب الحق، وأخطأ؛ فإن الله يغفر له خطأه كائنا ما كان، سواء كان في المسائل النظرية أو العملية.

هذا الذي عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وجماهير أئمة الإسلام" (الفتاوى ٢٣/٣٤٦)

وقال رحمه الله بعد أن ذكر حديث الذي شك في قدرة الله، وكيف غفر الله له: "والمتأوِّلُ من أهل الاجتهاد، الحريصُ على متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم: أولى بالمغفرة من مثل هذا" (الفتاوى ٣/٢٣١).

وقال رحمه الله مُحذّرا من تكفير من تلبّس بشبهات في باب الصفات؛ فجعلوا تعطيلها تنزيها: "كنتُ أقول للجهمية من الحلولية والنفاة؛ الذين نفوا أن الله تعالى فوق العرش، لما وقعت محنتهم: أنا لو وافقتكم: كنتُ كافرا؛ لأني أعلم أن قولكم كفر، وأنتم عندي لا تكفرون؛ لأنكم جُهّال.

وكان هذا خطابًا لعلمائهم وقُضاتهم وشيوخهم وأمرائهم" (الرد على البكري ٢/٤٩٤).

وقال مُتحدّثا عن الإمام أحمد رحمه الله: "كان يكفّر الجهمية المنكرين لأسماء الله وصفاته؛ لأن مُناقضة أقوالهم لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ظاهرة بينة، ولأن حقيقة قولهم تعطيل الخالق، وكان قد ابتلي بهم حتى عرف حقيقة أمرهم، وأنه يدور على التعطيل، وتكفير الجهمية مشهور عن السلف والأئمة؛ لكن ما كان يكفر أعيانهم...

فالإمام أحمد رحمه الله تعالى ترحّم عليهم، واستغفر لهم؛ لعلمه بأنهم لم يُبيّن لهم أنهم مُكذّبون للرسول، ولا جاحدون لما جاء به، ولكن تأوّلوا فأخطئوا، وقلدوا مَن قال لهم ذلك. (الفتاوى ٢٣/٣٤٨-٣٤٩)

وضابط التفريق بين التأويل السائغ شرعا وغير السائغ قول الحافظ ابن حجر رحمه الله: "قال العلماء: كل متأول مَعذورٌ بتأويله، ليس بآثم؛ إذا كان تأويله سائغا في لسان العرب، وكان له وجه في العلم" (فتح الباري ١٢/٣٠٤).

وقال العلامة ابن الوزير رحمه الله: "لا خلاف في كفر مَن جحد ذلك المعلومَ بالضرورة للجميع، وتستّر باسم التأويل فيما لا يمكن تأويله، كالملاحدة في تأويل جميع الأسماء الحسنى؛ بل جميع القرآن والشرائع والمعاد الأخروي من البعث والقيامة والجنة والنار.." (إيثار الحق على الخلق ص٣٧).

وفي الختام: ليَعلمَ القارئُ الكريم أن التجرُّؤَ على المسلمين وتكفيرهم، والحكم عليهم بالارتداد عن دين الله.. أمر خطير، وجرم كبير، لا يخوضُ فيه أبداً من وفّقه الله تعالى إلى طريقه القويم، وصراطه المستقيم.. وأعظم وأخطر من هذا كله: الذي يقعُ في الكفر والشرك؛ فإن الشرك بالله أعظم الذنوب؛ بل هو الذنب الوحيد الذي لا يغفر الله لمن قارفه، ومات فلم يتبْ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التربية الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة النبوية

الحلقة الثانية

إعداد/ د. عبد العظيم بدوي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

مِنْ صفاتِ المُؤمنينَ الصَّبرُ، «وَالصَّابرِينَ وَالصَّابرَاتِ»، وقدْ أمرهُم اللهُ به، ورغَّبهُمْ فيه، فقالَ تعالَى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» (آل عمران: ٢٠٠)، وقال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ» (البقرة: ١٥٣).

وبيَّنَ سُبحانَهُ أنَّهُ يُضاعفُ للصَّابرينَ أجرَهُمْ، فقالَ تعالَى: «إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ» (الزمر: ١٠).

وبيَّنَ سُبحانَهُ أنَّ الصَّبرَ جُنَّةٌ منَ الأعداءِ، فقالَ تعالَى: «وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا» (آل عمران: ١٢٠).

وبيَّنَ أنَّ الصَّبرَ سببٌ للمَددِ بالملائكةِ، فقالَ تعالَى: «بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ» (آل عمران: ١٢٥).

كما بيَّنَ سُبحانَهُ أنَّ التَّمكينَ في الأرضِ ثَمَنُهُ الصَّبرُ، فقالَ تعالَى حكايةً عَنْ يُوسفَ أنَّهُ قالَ لإخوتهِ وقدْ أنكرُوا حالَهُ، وتعجَّبُوا ممَّا آلَ إليه أمرُهُ: «إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ» (يوسف: ٩٠).

وبيَّنَ سُبحانَهُ أنَّ الإمامةَ في الدِّينِ إنَّما تُنالُ بالصَّبرِ واليَقينِ، فقالَ تعالَى: «وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ» (السجدة: ٢٤).

وقدْ جمعَ اللهُ تعالَى للصَّابرينَ ثلاثَ خصالٍ لَمْ يَجمعْهَا لغيرِهِمْ، فقالَ تعالَى: «وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ» (البقرة: ١٥٥ - ١٥٧).

ولهذا كُلِّه قالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعطيَ أحدٌ عَطاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ منَ الصَّبرِ» (صحيح البخاري ١٤٦٩).

وَمِنْ صفاتِ المُؤمنينَ الخُشوعُ، «وَالخَاشعينَ وَالخَاشعَاتِ».

وقدْ ذكرَ بعضُ المُفسِّرينَ أنَّ الخُشوعَ في القُرآنِ على أربعةِ أوْجُهٍ:

أحدُها: الذُّلُّ، ومنهُ قولُهُ تعالَى: «يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا» (طه: ١٠٨).

والثاني: سُكونُ الجوارحِ، ومنهُ قولُهُ تعالَى في المُؤمنينَ: «ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ» (المؤمنون: ٢).

والثالثُ: الخوفُ، ومنهُ قولُهُ تعالَى في الأنبياءِ: «وكانُوا لنَا خاشعينَ».

والرَّابعُ: التَّواضُعُ، ومنهُ قولُهُ تعالَى: «وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ» (البقرة: ٤٥). (نضرة النعيم ١٨٢٥/٥، ١٨٢٦).

وقدْ صرَّحَ السَّلفُ الصَّالحُ بأنَّ الخُشوعَ يَجمعُ هذه المَعاني كُلَّها.

قالَ ابنُ مَسعودٍ رضي الله عنه: مَنْ تواضعَ للهِ تخشُّعًا رفعَهُ اللهُ يومَ القيامةِ، ومَنْ تطاولَ تعظُّمًا وضعَهُ اللهُ يومَ القيامةِ.

وعَنْ عليٍّ رضي الله عنه قالَ: الخُشوعُ في القلبِ أنْ تُلينَ كنفَكَ للرَّجُلِ المُسلمِ، وأنْ لا تَلتفتَ في الصَّلاةِ.

وعنِ ابنِ عُمرَ في قولهِ تعالَى: «الَّذينَ هُمْ في صَلاتهِمْ خَاشعُونَ» قالَ: كانُوا إذا قامُوا إلى الصَّلاةِ أقبلُوا على صلاتِهمْ، وخفضُوا أبصارَهُمْ إلى موضعِ سُجودِهمْ، وعلمُوا أنَّ اللهَ يُقبلُ عليهِمْ

فلا يلتفتون يمينًا ولا شمالاً.
وعن الحسن البصري- رحمه الله- في قوله تعالى: «وكانوا لنا خاشعين» قال: الخوف الدائم في القلب.
وعنه- رحمه الله- في قوله تعالى: «الذين هم في صلاتهم خاشعون» قال: كان خشوعهم في قلوبهم، فغضوا بذلك أبصارهم، وخفضوا لذلك الجناح.
وعن قتادة- رحمه الله- قال: الخشوع في القلب هو الخوف وغض البصر في الصلاة. (نضرة النعيم ١٨٣٣/٥-١٨٣٥). قال ابن كثير- رحمه الله-: الخشوع السكون والطمأنينة، والتؤدة والوقار والتواضع، والحامل عليه الخوف من الله ومراقبته، كما في الحديث: «اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك». (صحيح مسلم: ٨). ومن صفات المؤمنين الإحسان إلى المساكين بالتصدق عليهم، «والمتصدقين والمتصدقات»:
قال ابن كثير- رحمه الله-: الصدقة هي الإحسان إلى الناس المحاويج الضعفاء، الذين لا كسب لهم ولا كاسب، يعطون من فضول الأموال طاعة لله، وإحسانًا إلى خلقه. (تفسير القرآن العظيم ٤٨٨/٣).
قال الله تعالى: «خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» (التوبة: ١٠٣)، وقال تعالى: «إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» (البقرة: ٢٧١)، وقال تعالى: «إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ» (الحديد: ١٨) وبين قدر هذا التضعيف فقال: «مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ» (البقرة: ٢٦١).
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، فإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبه كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل» (صحيح البخاري ١٤١٠). وعنه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وذكر منهم «ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه» (صحيح البخاري ٦٦٠).
وبين صلى الله عليه وسلم أن لأهل الصدقة بابًا في الجنة يدخلون منه دون غيرهم، فقال صلى الله عليه وسلم: «من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة». (صحيح البخاري ١٨٩٧).
وقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالمبادرة بالصدقة قبل انفلات أرواحهم، فقال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ» (المنافقون: ٩- ١١).
ومن صفات المؤمنين المحافظة على الصيام: «الصائمين والصائمات» أي: والآتين بما فرض الله عليهم من صوم رمضان، وبما ندبهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى صيامه في الأسبوع والشهر والعام. والصيام عبادة من أجل العبادات، وعمل صالح من أفضل الصالحات، اصطفاه الله تعالى لنفسه من بين سائر أعمال المسلمين والمسلمات، ففي الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله عز وجل: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به يدع شهوته وطعامه من أجلي» (صحيح مسلم ١١٥١).
وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن في الجنة بابًا لأهل الصيام يدخلون منه لا يدخل منه أحد غيرهم، فقال صلى الله عليه وسلم: «إن في الجنة بابًا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل معهم أحد غيرهم يقال: أين الصائمون؟ فيدخلون منه فإذا دخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد» (صحيح البخاري ١٨٩٦).
وللحديث بقية إن شاء الله.

طبقات الصوفية للشعراني

يُعتبر كتاب «طِبقات الصوفية» من أهم مراجع الخرافة في كتب الصوفية، وهم ينفونه عن الشعراني ويدعون أن هذه الخرافات التي في كتاب الطبقات، هي مما زيد على الكتاب ودُسَّ على الشعراني بغير علمه.

ومن يطالع الكتاب يتضح له أن الكتاب بأكمله إلا النزر القليل جداً، ينضح ويفور بالخرافة والدجل والشعوذة، مع مخالفة للعقيدة الصحيحة، وعدم الالتزام بالسنة، ويحوي غلوًا في الصوفية، ورفع أئمتهم إلى مقامات عالية لا تليق بهم ولا تقبل منه.

واليك بعض الأمثلة:

- قال الشعراني في «الطبقات» (٨٧/٢): «الشيخ حسين أبو علي رضي الله عنه، كان هذا الشيخ رضي الله عنه من كمل العارفين وأصحاب الدوائر الكبرى، وكان كثير التطورات تدخل عليه بعض الأوقات تجده جنديًا، ثم تدخل فتجده سبعاً، ثم تدخل فتجده فيلاً، ثم تدخل فتجده صبياً وهكذا، ومكث أربعين سنة في خلوة مسدودة بابها ليس لها غير طاقة يدخل منها الهواء وكان يقبض من الأرض ويناول الناس الذهب والفضة، وكان من لا يعرف أحوال الفقراء يقول هذا كيماوي سيماوي»!!

وقال أيضاً في «الطبقات» (١٨٥/٢): «الشيخ شعبان المجذوب رضي الله عنه، كان من أهل التصريف بمصر المحروسة، وكان يخبر بوقائع الزمان المستقبل، وأخبرني سيدي علي الخواص رضي الله عنه أن الله تعالى يُطلع الشيخ شعبان على ما يقع في كل سنة من رؤية هلالها، فكان إذا رأى الهلال عرف جميع ما فيه مكتوباً على العباد»!!!

وقال أيضاً في «الطبقات» (٨٨/٢): «سيدنا ومولانا شمس الدين الحنفي كان رضي الله عنه من أجلاء مشايخ مصر وسادات العارفين صاحب الكرامات الظاهرة والأفعال الفاخرة والأحوال الخارقة والمقامات السنية» إلى أن قال: «وهو أحد من أظهره الله تعالى إلى الوجود، وصرفه في الكون».

إلى أن قال: «قال الشيخ أبو العباس: وكنت إذا جئته وهو في الخلوة أقف على بابها فإن قال لي ادخل دخلت، وان سكت رجعت فدخلت عليه يومًا بلا استئذان فوقع بصري على أسد عظيم فغشي عليَّ فلما أفقت خرجت واستغفرت الله تعالى من الدخول عليه بلا إذن». ثم قال» وقد مكث في خلوته سبع سنين تحت الأرض ابتدأها وعمره أربع عشرة سنة».

ويقول الشعراني عن نفسه في كتابه «الطبقات»: «إنَّ سبَبَ حضوري مولد «أحمد البدوي» كل سَنَة أنَّ شيخي العارف بالله تعالى «محمدَ الشناوي» رضي الله عنه! أحدَ أعيان بيته رحمه الله، قد كان أخذ عليَّ العهد في القبة تجاه وجه سيدي أحمد رضي الله عنه، وسلمني بيده، فخرجت اليد الشريفة من الضريح!- بين الشعراني والبدوي نحو أربعة قرون!-وقبضت على يدي. وقال: يا سيدي يكون خاطرك عليه، واجعله تحت نظرك! فسمعت «سيدي أحمد» من القبر يقول: نعم.

هذا، وغير ذلك الكثير من الترهات والتخاريف التي هي مخالفة لصحيح الشرع، ومجانبة لصريح العقل، فحسبنا الله ونعم الله.

إعداد/ سيد عباس الجليمي

عودة البدعة إلكترونيًّا

نذكر جميعًا بدعة الشيخ أحمد خادم الحجرة النبوية الذي رأى النبي صلى الله عليه وسلم- بزعمهم- في المنام، وأمره بأشياء، وكتابتها في ورقة عدة مرات- معينة- وتوزيعها على المسلمين، ليرى بعدها البشريات والخيرات ونمو التجارات... إلخ، وأن من وصلته الرسالة فلم يكتبها هذا العدد من المرات فعليه أن ينتظر الويل والثبور وعظائم الأمور، ويومها انبرى له فضيلة العلامة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله وكتب رسالة ردًا على هذا الهراء ضمن رسالة سماها «التحذير من البدع».

واليوم عادت هذه البدعة في شكل إلكتروني جديد على مواقع التواصل الاجتماعي على الإنترنت مثل الواتساب، وتوتير، والفيس بوك، وغيرها، وعادت في صور وأساليب شتى، وانتشرت انتشار النار في الهشيم في اليوم العاصف!!

تأتي الرسالة بها حِكَم أو نصائح أو فوائد أو غيرها، ثم يعقبها بقوله: انشرها لعدد كذا أو للجروب عندك، أو لجميع من عندك وستأتيك أخبار سارة.. وإلاَّ.. فظن شرًا، ولا تسأل عن السبب!!

ورسالة أخرى تقول في مطلعها: تَمَنَّ ما تشاء قبل فتح الرسالة وقراءتها، وثالثة تقول: أرسل هذه الرسالة عدد كذا.. ورابعة: حملة الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، وإن لم تفعل قطعت الحملة.. وأخرى: الأسماء الحسنى كل اسم تقرأه بعدد معين لشفاء أمراض معينة خاصة بالاسم.. وأخرى: أستحلفك بالله أن ترسلها.. أمانة لا توقفها عندك.. وأخرى: أسبوع الإخوة.. الليلة تسبيح.. الليلة تهليل.. وهكذا.

ويحكم يا أمة محمد!! ألهذا خُلقتم!! تتسابقون وراء الترهات والأباطيل والخرافات!! وبين أيديكم كتاب الله محضًا لم يُشَب، وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم غضة واضحة، وقد أغناك الله بهما، فله الحمد والمنة.

إن الإنترنت سوق كبير وأنت بضاعته، فاحذر من الزيف والتضليل وإضاعة الوقت والجهد، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ» رواه البخاري.

ولا يجوز إلزام الناس بما لم يلزمهم به الشرع، ولا تقييد ما أطلقه الشرع، ولا تخصيص ما عممه إلا بتوقيف ودليل واضح. ولا تجعل من نفسك أداة ووسيلة لنشر البدع أو الخرافات، وتثبت من الرسائل قبل إرسالها، ولا تكن معولاً لهدم الأخلاق أو تلبيس الدين، وكن كالنحلة لا تقف إلا على الطيب لتنفع نفسك أولاً، ثم تنقله للآخرين، فالإنترنت بحر عميق ضاعت فيه أخلاق الرجال والنساء، وسقطت فيه كثير من العقول، إلا من رحم الله.



أثر السياق في فهم النص

تنوع قرائن السياق وأثره على الأحكام الفقهية

النمص (٣)

إعداد/ متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

نواصل البحث في النمص، ونذكر بما ذكرناه في العددين السابقين، كالتالي:

١- الأحاديث الواردة في النمص.
٢- معنى النمص لغة.
٣- معنى النمص عند فقهاء المذاهب الأربعة.
٤- فقه الأحاديث.

ومن ذلك: هل النمص يشمل إزالة الشعر من الوجه بالكامل أم يقتصر على الحاجبين فقط؟ اختلافهم في علة النهى عن النمص، هل هي الغش والتدليس أم هي تغيير خلق الله تعالى، أم هي شعار الفاجرات؟ الفارق بين إزالة عيب منفر وبين زيادة تجميل، وجواز الأول وعدم جواز الثاني.

ونستأنف البحث بذكر القرائن والترجيح:

أولاً: تخصيص النص بالعرف واللغة:

القرآن والسنة جاءا بلغة العرب (إِنَّا أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (يوسف: ٢)، والرسول صلى الله عليه وسلم أفصح العرب لغة. ولكي نفهم مراد الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم لا بد أن نعرف ونفهم اللغة العربية.

يقول ابن تيمية: "ولابد في تفسير القرآن والحديث من أن يعرف ما يدل على مراد الله تعالى ورسوله من الألفاظ، وكيف يفهم كلامه، فمعرفة العربية التي خوطبنا ممن يعين على أن نَفْقَه مراد الله ورسوله بكلامه وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني" (مجموع الفتاوى ١١٦/٧).

فخطاب الشارع وألفاظه - وهي عربية- إذا وضع الشرع لها بيانًا، فإننا نحمل اللفظ على هذا البيان (الحقيقة الشرعية)، فبيان الشارع وتوضيحه للألفاظ مقدم على أي بيان.

يقول ابن تيمية: "ومما ينبغي أن يعلم أن الألفاظ الموجودة في القرآن والحديث إذا عرف تفسيرها، وما أريد بها من جهة النبي صلى الله عليه وسلم، لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم" (مجموع الفتاوى ٢٨٦/٧).

فإن لم يبين الشارع معنى اللفظ فإننا ننتقل إلى العرف السائد في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وقت التشريع، ولا يصح أن تُحمل هذه الألفاظ على أعراف وعادات حدثت فيما بعد.

يقول ابن تيمية: "ولا يجوز أن يحمل كلامه (النبي صلى الله عليه وسلم) على عادات حدثت بعده في الخطاب لم تكن معروفة في خطابه وخطاب أصحابه، كما يفعله كثير من الناس" (مجموع الفتاوى ١١٥/٧).

وقال أيضًا: "فبتلك اللغة والعادة والعرف خاطبهم الله ورسوله لا بما حدث بعد ذلك" (مجموع الفتاوى ١٠٦/٧).

فإن لم نستطع الوقوف على العرف السائد في عصر النبي صلى الله عليه وسلم، انتقلنا إلى المعنى اللغوي. فإذا علمنا ذلك فإننا في أحاديث النهي عن النمص، لم نجد تعريفًا مرفوعًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم - فيما أعلم - حدد فيه معنى النمص، فانتقلنا إلى الأعراف والعادات السائدة في عصر النبي

صلى الله عليه وسلم فهل كان من عادة المرأة العربية في زمانه صلى الله عليه وسلم الأخذ من الحواجب، فجاء النهي مبنيًا على ذلك؟ وهذا لا سبيل إلى معرفته إلا بأسباب الورود للأحاديث، ولم أقف على أسباب ورود متعلقة بالنمص كما وقفنا على وصل الشعر الذي ورد في الحديث وأنكره النبي صلى الله عليه وسلم، ولعن فاعلته.

وكذا ما ورد في حديث ابن مسعود وإنكاره على أم يعقوب حَلْق جبينها، وهذا السبب ليس مرفوعًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

لكن هل من الممكن أن نستأنس من ردّ أم يعقوب على ابن مسعود رضي الله عنه عندما قالت له: فإني أرى شيئًا من هذا على امرأتك الآن، انتشار هذا الأمر بين النساء فتصورت أم يعقوب أن زوجته تفعله؛ لأن غالب النساء يفعلن ذلك، وأنه منتشر بينهن، وهذا هو الذي دعاها أن تقول مقالتها هذه لابن مسعود كما تقول أنت لمن ينكر عليك شيئًا: لمَ تنكر عليَّ وأهلك يفعلون ذلك؟ على الرغمَ من أنك لم تر أهله، لكن لانتشار هذا الأمر توقعت أنه لا يخلو أحد من فعله، حتى أهله.

ولأننا ليس بين أيدينا عرف سائد في مسألة النمص في زمن النبي صلى الله عليه وسلم نقيد به حديث النبي صلى الله عليه وسلم - فيما أعلم -. فإننا ننتقل إلى اللغة العربية التي خاطب بها المشرع الناس في زمن التشريع، وننظر في شعر العرب ونثرهم الذي نقلته إلينا قواميس اللغة، وقد وقفنا على ذلك من قبل - في عدد ذي الحجة-، وتوصلنا إلى أن خلاصة ما ذكر في كتب اللغة عن النمص، يدور حول المعاني الآتية:

١- نتف الشعر من الوجه بالكامل بخيط أو ملقاط.

٢- نتف الشعر من الجبين بخيط أو ملقاط.

٣- نتف الحواجب.

٤- ترقيق الحواجب للتحسين.

وبالتأمل نجد أن أقل تعريف له هو: ترقيق الحواجب، وأوسع تعريف له هو نتف الشعر من الوجه بالكامل، ولا شك أن الأخذ بالتعريف الأوسع، أحوط للدين من ناحية، ومن ناحية أخرى يتفق مع نصوص وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم ومنها: حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم: "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك" (صحيح سنن الترمذي وغيره).

ومنها حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الحلال بيّن والحرام بيّن، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه.." (متفق عليه)، إلى غير ذلك من الأحاديث.

ستقول وما العلاقة بين ما ذكرت من أحاديث وهي في الحلال والحرام، وبين الأخذ بأوسع تعريف للنمص؟

أقول هناك علاقة؛ فأخذنا بأن النمص يشمل أخذ الشعر من كل الوجه يدخل فيه النهي عن أخذ الشعر من الحاجبين، لكن لو اقتصرنا على الحاجبين فقط، فإنه ستبقى هناك ريبة وشبهة، وهي أن التحريم قد لا يقتصر على الحاجبين فقط. بل يشمل عموم الوجه.

(فائدة: الأصل حمل العام على جميع أفراده وعدم خروج واحد منها إلا بدليل، فاللفظ وُضع في اللغة ليشمل جميع أفراده، ودلالة العام على استغراقه لجميع أفراده هل هي قطعية أم ظنية؟ فيها خلاف بين الجمهور القائلين بأن دلالة العام على جميع أفراده ظنية، وبين قول الحنفية ومنقول عن الشافعي: إن دلالة العام قطعية إذا لم يخص. وليس معنى قول الجمهور أن دلالته ظنية، أن العموم لا يعمل به ولا يشمل جميع أفراده، وإنما المعنى أن العام يحتمل التخصيص مع شيوع التخصيص فيه، حتى كرر العلماء عبارتهم (ما من عام إلا وقد خُصص).. (انظر الوجيز في أصول الفقه الإسلامي د. محمد مصطفى الزحيلي ٢/٥٢-٥٤)، كما أن النهي لا يتحقق إلا بترك الفعل في جميع أفراده (انظر المهذب في علم أصول الفقه المقارن د. عبد الكريم النملة ١٠٤٤/٣).

إذن ما أرجحه-والله أعلم- أن النمص يشمل النهي عن أخذ الشعر من جميع الوجه، وهذا هو ما ذهب إليه الكثير من فقهاء المذاهب - انظر عدد ذي الحجة - وذكره الإمام النووي في شرحه على مسلم (٦/٢٨٨) وابن حزم في المحلى (٢/٣٩٨)، وابن قدامة في المغني (١/٧٠) والطبري كما في فتح الباري (١٠/٣٧٧) وغير هؤلاء من العلماء، وكما قلت هو الأحوط والأولى لعدم وجود دليل بين أيدينا يقصر النمص على الحاجبين فقط.

أما جواز أخذ شعر اللحية والشارب إذا نبتا في وجه المرأة فهذا سنعود إليه في موضعه من البحث إن شاء الله.

ثانيًا: لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة: المقصود بوقت الحاجة الوقت الذي يحتاج فيه المكلف إلى البيان ليتمكن من الامتثال، بحيث لو تأخر البيان عنه لم يتمكن من العمل الموافق للشرع. والمقصود بوقت الخطاب: الوقت الذي يسمع فيه المكلف الخطاب، سواء كان قرآنًا أم سنة.

وهذه قاعدة أصوليه مهمة وهي تشتمل على قسمين:

١- تأخير البيان عن وقت الحاجة.

٢- تأخير البيان عن وقت الخطاب إلى وقت الحاجة.

أما القسم الأول، فلا يجوز في حق المشرع تأخير البيان عن وقت الحاجة، قال الله تعالى: «ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ» (القيامة: ١٩)، وقال تعالى: «وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» (سورة النحل: ٤٤)، وقد نقل ابن قدامة الإجماع على ذلك، فقال: "ولا خلاف في أنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة" (روضة الناظر ١/٥٣٤).

أما القسم الثاني: وهو تأخير البيان عن وقت الخطاب إلى وقت الحاجة، فهذا جائز وهو قول الجمهور من ذلك ذكر الصلاة والزكاة في القرآن (وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ) (البقرة: ١١٠) مع الأحاديث الكثيرة التي بينت صفة الصلاة وعدد ركعاتها، وبينت مقادير الزكاة والأنصبة، فبيان الصلاة والزكاة تأخر حتى وقت التكليف الفعلي (انظر أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله، عياض بن نامي ١/٤١٠ - ٤١١).

فإذا تقرر هذا فهل كان إنكار ابن مسعود على أم يعقوب وقت خطاب، فيجوز فيه تأخير البيان، أم هو وقت حاجة لا يجوز فيه تأخير البيان؟ بمعنى أن ابن مسعود رضي الله عنه رأى أن إنكاره على المرأة (النمص وغيره) - كما بالحديث - هو وقت حاجة، وبالتالي لا يجوز أن يؤخر ما يتعلق بالمسألة، فلو كان يرى تخصيص شيء من الأشياء المنهي عنها في الحديث، وخاصة النمص، لبين ذلك، أو كان يرى أن ذلك مجمل يحتاج إلى بيان، لبينه، لكنه عمَّم النهي كما بالحديث.

فالراجح أن إنكار ابن مسعود رضي الله عنه هو وقت حاجة وليس وقت خطاب وذلك لعدة قرائن منها: ١-أن الصحابة رضي الله عنهم، وهم خير القرون إيمانًا وعلمًا وتأسيًا برسول الله صلى الله عليه وسلم، يصدعون بالحق ولا يخافون في الله لومة لائم. فكانوا ينكرون ويبينون الحكم عند الحاجة إليه على الرغم أن عدم جواز تأخير البيان عن وقت الحاجة متوجب على الرسول عليه الصلاة والسلام، وليس بواجب على غيره لاحتمال وجود موانع تدفعه لعدم البيان، منها الخشية على نفسه، أو عدم علمه بالمسألة أو يرى أن المصلحة تقتضي منه عدم البيان في الحال.. إلى غير ذلك من الأسباب.

٢- اتهام أم يعقوب لزوجة ابن مسعود بأنها تفعل ما ينكر عليها، أي إن المسألة من وجهة نظرها مما عمت به البلوى.

٣- عدوله عن السبب الرئيس لإنكاره عليها وهو وصل الشعر لكونها زعراء (قليلة شعر الرأس، إلى الإنكار عليها في حلق جبينها)؛ إذ هي متلبسة به الآن، أي وقت الحوار بينهما فأنكر عليها لأن هذا هو وقت البيان والتوضيح، وليس بعده.

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.



باب الاقتصاد الإسلامي

منظومة القيم الأخلاقية

الحمد لله وكفى، وصلاة وسلامًا على عبده المصطفى، وبعد:

فما زلنا نتحدث عن دور القيم الإيمانية والأخلاقية في الاقتصاد الإسلامي من خلال منظومة القيم الأخلاقية في الاقتصاد الإسلامي:

حيث تقوم المعاملات الاقتصادية على مجموعة من القيم الأخلاقية التي يجب الالتزام بها وتحقق البركة والخير وتضبط وترشد السلوك الاقتصادي للمتعاملين، ويعتبر الالتزام بالحلال في النشاط الاقتصادي هو أساس الأخلاقيات في كافة المعاملات والأنشطة الاقتصادية وهو أساس المشروعية في مجال الاقتصاد الإسلامي، و من القيم الأخلاقية ما يلي:

١- الصدق: يلتزم المسلم في كل أموره بالصدق ولاسيما في المعاملات ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة: ١١٩)، وقوله عز وجل: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ (محمد: ٢١) والدليل من السنة النبوية الشريفة قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (التاجر الصدوق مع النبيين والصديقين والشهداء) (رواه الترمذي)، ويقول صلى الله عليه وسلم:)البيعان بالخيار حتى يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك في بيعهما،وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما((رواه البخاري ومسلم)، ويقول صلى الله عليه وسلم:) لا يحل لأحد أن يبيع بيعا إلا بَيَّنَ ما فيه، ولا يحل لمن يعلم ذلك إلا بَيَّنَه) (رواه الحاكم).

وتأسيسا على ذلك يجب على التجار المسلمين الالتزام بخصلة الصدق ولاسيما في المواصفات والتكاليف والأسعار وتجنب الغش والخداع والتدليس والبخس والكتمان وما في حكم ذلك من الأمور التي حرمتها الشريعة الإسلامية.

٢- الأمانة: يرتبط خُلق الأمانة بالصدق تماما، حيث أن الصدق يكون في القول أما الأمانة فهي المعاملة، فيجب على المتعاملين أن يتحروا الأمانة في كل معاملاتهم، لأنها من موجبات الثقة في المعاملات، ودليل ذلك من القرآن الكريم قول الله تبارك وتعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾(النساء: ٥٨)، وقوله تعالى في وصف المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (المؤمنون: ٨) والدليل من السنة النبوية الشريفة قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك) (رواه أحمد وأبو داود)، وقال صلى الله عليه وسلم: (المجلس بالأمانة إلا ثلاث مجالس: مجلس سفك دم حرام، أو فرج حرام، أو اقتطاع مال بغير حق) (رواه أحمد).

وتأسيسا على ذلك يجب على المسلم أن يتحرى الأمانة في كل معاملاته ولاسيما أمانه تطبيق شرع الله.

٣- الإحسان: ويقصد به في مجال الاقتصاد إتقان الأعمال والمعاملات وفقاً لشرع الله عز وجل، وعلى المسلم أن يستعين بالأساليب المعاصرة في سبيل تحقيق ذلك، ودليل هذا الخلق من القرآن الكريم قول الله تبارك وتعالى: " ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (الكهف: ٣٠)، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم:)إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته) (رواه مسلم/١٩٥٥، والترمذي عن شداد بن أوس/١٤٠٩)، وقوله صلى الله عليه وسلم:)إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه) (رواه البيهقي).

٤- الوفاء بالعهود والعقود: يجب على المسلم أن يلتزم بالعهود التي يعطيها للمتعاقد معه، وكذلك تنفيذ الشروط الواردة بالعقود التي يبرمها ما لم تكن مخالفة لأحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية، حيث أن ذلك يؤدي إلى الثقة في المعاملات واستقرارها، ودليل ذلك من الكتاب قول الله عز وجل: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (النحل: ٩١)، ويقول تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾(المائدة: ١)، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عهد ولا يشدنه حتى يمضي أمده أو ينبذ إليهم



في الاقتصاد الإسلامي

على سواء) (رواه الترمذي عن عمر بن عبسة وقال حديث حسن/ ١٥٨٠).

٥- العدل والقسط: يجب على المتعاملين بصفة عامة التحلي بخلق العدل وإعطاء كل ذي حق حقه بدون بخس أو ظلم، ودليل ذلك من القرآن الكريم قول الله عز وجل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) (النساء: ١٣٥)، وعن أبي إمامة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من اقتطع حق امرئ مسلم بيمنه فقد أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة، فقال رجل: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟، فقال: وإن قضيباً من أراك) (رواه مسلم).

٦- النصيحة: من أخلاق المتعاملين تقديم النصح والإرشاد والتوجه والتبيان للغير، ويُقبل منهم ذلك وهذا من موجبات الدين والأخوة في المعاملات، ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى: (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) (العصر: ٣)، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم:)الدين النصيحة، قلنا لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) (رواه مسلم عن تميم الداري/ ٨٢).

٧- الإخلاص وإصلاح النية: ويقصد به في مجال المعاملات خشية الله سبحانه وتعالى وهو الباعث على تجنب الغش والكذب والتطفيف والتدليس وكل ما يخالف أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية، كما أن ذلك من أسباب البركة في الأرزاق، ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) (البينة: ٥)، وقوله صلى الله عليه وسلم:) إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه) (رواه الشيخان عن بن الخطاب).

- أثر القيم الإيمانية والأخلاقية على السلوك الاقتصادي:

يقود الالتزام بالقيم الإيمانية والأخلاقية إلى سلوكيات اقتصادية رشيدة وسليمة وهى مستنبطة من تلك القيم، من أهمها ما يلي:

١- سلوك الرضا والقناعة: أي الرضا والقناعة بما قسمه الله من رزق وهذا يحقق الارتياح النفسي والاطمئنان واليقين بقول الله عز وجل: (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ) (الذاريات: ٢٢-٢٣)، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا المقام: (لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، خذوا ما حل ودعوا ما حرم) (رواه البيهقي وابن ماجة)، وهذا يجنب المسلم الشره والتهافت الشديد على الكسب بدون ضوابط شرعية.

٢- سلوك التوكل على الله: وذلك بعد الأخذ بالأسباب والسبل والطرق المشروعة، ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) (الملك: ١٥)، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم:) لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً، وتروح بطاناً) (رواه أحمد والترمذي) وقال حديث حسن صحيح عن عمر بن الخطاب.

٣- سلوك الاحتياط: أي الاحتياط لنوائب الدهر ومخاطره من الأزمات والكوارث والفقر والعوز وكذلك المحافظة على حقوق الأجيال القادمة، والباعث على هذا السلوك هو أن حياة المسلم تتقلب بين الرخاء والكساد، وبين السعة والضيق، وبين السعادة والشقاء، فعليه أن يأخذ من غناه لفقره، ولقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد الصحابة فقال:(لأن تترك ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة، يتكففون الناس) (رواه البخاري: عن سعد بن خوله/١٢١٣).

٤- سلوك ترتيب المعاملات حسب الأولويات: ويقصد بذلك أن المسلم دائماً يرتب أموره في المعاملات الاقتصادية حيث يبدأ بالفرائض ثم الواجبات ثم المندوبات، وبمصطلح الفقه الضروريات فالحاجيات فالتحسينات، وهذا يحقق له الاستقرار في حياته، كما يطبق هذا الفقه

عند التعامل مع الآخرين.

٥- **سلوك التعاون والتكافل الاقتصادي:** ويقصد بذلك التعاون مع الأفراد والوحدات الاقتصادية والحكومية في سبيل تنشيط المعاملات الاقتصادية وتجنب كافة صور الاستغلال والاحتكار والمنافسة غير المشروعة وكافة صور الفساد الاقتصادي، كما يساهم مع مؤسسات المجتمع المدني المختلفة في تحقيق التكافل الاقتصادي والذي يقود إلى التنمية الاجتماعية وذلك من خلال الواجبات المالية الأخرى غير الزكاة، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) (رواه البخاري ومسلم).

٦- **سلوك الأخوة:** ويقصد بذلك أن المسلم يتعامل مع الآخرين على أنهم إخوة لهم في الله، ويربطهم ميثاق البر وفضائل الأخلاق، ومن وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا المقام:(لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره، التقوى هاهنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه) (رواه مسلم).

٧- **سلوك السماحة:** من سلوكيات المسلم في المعاملات حسن التعامل مع الآخرين برفق وأناة لأن ذلك من أبواب التيسير وسهولة المعاملات، والبركة في الأرزاق، وتقوية الروابط، ودليل ذلك بصفة عامة من القرآن الكريم قول الله لرسوله: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) (آل عمران: ١٥٩)، ودليل ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم:)رحم الله رجل سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى) (رواه البخاري).

٨- **سلوك التيسير:** من سلوكيات المسلم في المعاملات ولاسيما رجل الأعمال التيسير على المتعاملين معه لأن ذلك من موجبات تسهيل الأعمال وانسيابها بأن ينظر المعسر أو يتجاوز عنه بالتصدق وتخفيض الأسعار وما في حكم ذلك ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى: (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ) (البقرة: ١٨٥)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ورد عن رب العزة:)حوسب رجلا ممن كان قبلكم، فلم يوجد له من الخير شيء، إلا أنه كان يخالط (يشارك) الناس، وكان موسرا، فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر، قال (الرسول) قال الله: نحن أحق بذلك منك، تجاوزوا عنه (رواه البخاري ومسلم عن أبي مسعود الأنصاري)، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم) من أنظر معسراً أو وضع له، أظله الله في ظل عرشه (رواه مسلم)، وقال صلى الله عليه وسلم: (ومن سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة، فلينفس عن معسر، أو يضع عنه) (رواه مسلم)، وفي رواية لأحمد: "وقاه الله من فيح جهنم"

٩- **سلوك المواطنة:** بمعنى أفضلية التعامل الاقتصادي في السلع الوطنية حباً وولاءً للوطن ولدعم التنمية الشاملة، وأداء ما عليه من حقوق للوطن من ضرائب ورسوم وما في حكم ذلك، كما يساهم في المحافظة على ثرواته وبنياته والالتزام بالقوانين، وتجنب التعامل في السلع الواردة من دول محاربة ومعادية للدين وللوطن ومقاطعتها إلا عن الضرورة المعتبرة شرعاً وتلك وقفة مع شرع الله ووقفة مع حب الوطن ووقفة مع النفس ونصرة لمن يجاهد هؤلاء الأعداء.

١٠- **سلوك تجنب المعاملات الاقتصادية المنهي عنها شرعاً:** وذلك عبادة وطاعة لله، ومن هذه المعاملات: الغش، والكذب، والاحتكار، الاستغلال، والغبن، والربا، والنجش، والإكراه، والتطفيف، والتدليس، وكل صور الفساد الاقتصادي التي تؤدي إلى أكل أموال لناس بالباطل.

سلوك التفقه في أحكام المعاملات حتى لا يقع في الحرام: يجب على المتعاملين في الأسواق التفقه في أحكام المعاملات، ودليل ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين) (رواه البيهقي)، ويروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يطوف بالسوق، ويضرب التجار بالدرة ويقول: " لا يبيع في سوقنا إلا من يفقه، وإلا أكل الربا شاء أم أبى ".

١١- **سلوك تجنب الشبهات:** ويقصد بذلك أنه يجب أن يكون من سلوك الاقتصاد المسلم معرفة الحلال فيتبعه والحرام فيجتنبه، وكذلك المشتبهات فيبتعد عنها خشية أن يقع في الحرام، وكان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يتركون تسعه أبواب الحلال خشية أن يقعوا في باب من الحرام، وأصل ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنما الحلال بَيِّنٌ، وإنما الحرام بَيِّن، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد ستبرئ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ألا وأن لكل ملك حمى، وحمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب) (رواه مسلم)، وقال صلى الله عليه وسلم: (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك) (رواه الترمذي).

وللحديث بقية إن شاء الله.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

السعادة الحقيقية

قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ» (الأنفال:٢٤)

من أقوال السلف

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، أَنَّ رَجُلا أَتَاهُ فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَحَدَّثَهُ، فَقَالَ الرَّجُلُ: «حَدِّثُوا عَنْ كِتَابِ اللَّهِ وَلا تُحَدِّثُوا عَنْ غَيْرِهِ، فَقَالَ: إِنَّكَ امْرُؤٌ أَحْمَقُ، أَتَجِدُ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَنَّ صَلاةَ الظُّهْرِ أَرْبَعًا لا يُجْهَرُ فِيهَا، وَعَدَدَ الصَّلَوَاتِ وَعَدَدَ الزَّكَاةِ وَنَحْوَهَا، ثُمَّ قَالَ: أَتَجِدُ هَذَا مُفَسَّرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْكَمَ ذَلِكَ وَالسُّنَّةُ تُفَسِّرُ ذَلِكَ».

مسند عبد الله بن المبارك

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن أبي واقد الليثي قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أخف الناس صلاة على الناس، وأدومه على نفسه (وفي رواية: وأطول الناس صلاة لنفسه).

رواه أحمد وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة

من دلائل النبوة

عن جابر بن عبد الله قال: شكا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش، فدعا بعس (إناء)، فصب فيه ماء، ووضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فيه، قال: فجعلت أنظر إلى الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس يستقون، حتى استقى الناس كلهم.

رواه الدارمي

من فضائل الصحابة

عن عبد الرحمن بن عوف، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة».

رواه الترمذي

حكم ومواعظ

عن الحسن، قال: «لأَهْلِ التَّقْوَى عَلامَاتٌ يُعْرَفُونَ بِهَا: صِدْقُ الْحَدِيثِ، وَالْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ، وَرَحْمَةُ الضُّعَفَاءِ، وَقِلَّةُ الْفَخْرِ وَالْخُيَلاءِ، وَبَذْلُ الْمَعْرُوفِ، وَقِلَّةُ الْمُبَاهَاةِ لِلنَّاسِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَسَعَةُ الْخُلُقِ مِمَّا يُقَرِّبُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ». (الحلية لأبي نعيم)

إعداد/ علاء خضر

من معاني الأحاديث

رشا: «لعن الله الراشي والمرتشي والرائش» الرشوة. والرشوة: الوصلة إلى الحاجة بالمصانعة. وأصله من الرشاء الذي يتوصل به إلى الماء. فالراشي من يعطي الذي يعينه على الباطل. والمرتشي الآخذ. والرائش الذي يسعى بينهما يستزيد لهذا ويستنقص لهذا. فأما ما يعطى توصلاً إلى أخذ حق أو دفع ظلم فغيرُ داخل فيه.

النهاية لابن الأثير

من دعائه صلى الله عليه وسلم

في المرض

عن أنس رضي الله عنه أنه قال لثابت رحمه الله: ألا أرقيك برقية رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: بلى. قال: «اللهم رب الناس، مذهب البأس، اشف أنت الشافي، لا شافي إلا أنت، شفاء لا يغادر سقماً. (أي: لا يترك المرض).

رواه البخاري

خلق حسن فالزمه

عن الحسن، قال: «أفضل أخلاق المؤمن العفو».

الآداب الشرعية

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

(ما ألهاك عن ذكر الله تعالى؛ فهو مَيْسِر). باطل لا أصل له. حتى ولا في الأحاديث الموضوعة، وهو من الأحاديث الكثيرة التي سوّد بها الشيخ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي الصوفي دون أن يعزوها إلى مصدر من كتب السنة.

السلسلة الضعيفة للألباني

من حكمة الشعر

قال الشاعر:

لا تعجلنّ فليس الرّزق بالعجل
الرّزق في اللّوح مكتوب مع الأجل
فلو صبرنا لكان الرّزق يطلبنا
لكنّه خُلق الإنسان من عجل

(حسن السمت)

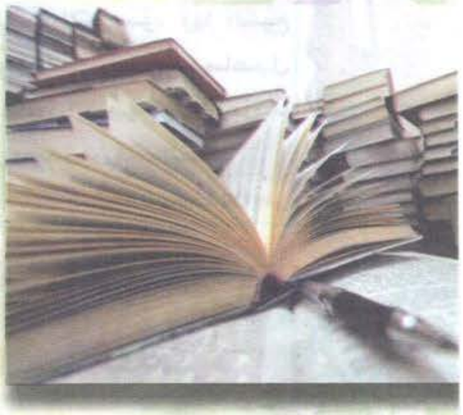
خلق سيئ فاحذره

قال الأحنف بن قيس: «ألا أخبركم بأدوأ الدّاء: اللّسان البذيء والخلق الدّنيء»

باب الأدب

أُصُولُ الآدَابِ وَمَكَارِمِ الأَخْلاَقِ وَجَوَامِعُهَا

إعداد/ د. عماد عيسى
المفتش بوزارة الأوقاف



الحمد لله الذي علم بالقلم، والصلاة والسلام على نبينا محمد المفرد العلم، وعلى آله وصحبه أئمة الهدى ومصابيح الظلم، وبعد:

تَوطئةٌ وتَمهيدٌ:

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا يَقْتَضِي رِضَاهُ، وَلاَ يَنْقَضِي مَدَاهُ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي اصْطَفَاهُ وَرَسُولِنَا الَّذِي اخْتَارَهُ اللهُ لِرِسَالَتِهِ وَاجْتَبَاهُ وَبَعْدُ.

فإن من المعلوم الواضح عند كل ذي بصيرة، أن الله فطر نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم على أحسن الأخلاق التي هدى الناس إليها، وطبعه على جميل الشمائل التي خَلَقَ الناسَ عَلَيْها، حتَّى أضْحتْ أخلاقُ الرسولِ الكريم صلى الله عليه وسلم من الدلائلِ الواضحاتِ على صدقِ نبوته والمعجزاتِ الباهراتِ على صحة رسالته بحيثُ يعجزُ كلُ أحدٍ من البشرِ عَن معارضَتِها والإتيَانِ بمثلها كلِّها أو بعضها، أمَّا مقاربتُها والتَّشبهُ بها فهو في الإمكانِ، للأمر بالاقتداء به والتأسِّي بأخلاقه كما في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١).

ومن طُبع على صفاتِ الخيرِ فليسَ عليه ضيرٌ، ولا عَجَبَ فإنَّ صنائعَ المعروفِ تقي مصارعَ السوءِ، وأيُّ معروفٍ أفضل من حُسنِ الخلق؟!

ولعل من أهم أسبابِ اختيار العربِ لنشر دعوة الإسلام وتحمل أعبائها ما فطرهم الله عليه من قال ابن تيمية: وسبب هذا الفضل- والله أعلم- ما اختصوا به في عقولهم وألسنتهم وأخلاقهم وأعمالهم، وذلك أن الفضل: إما بالعلم النافع، وإما بالعمل الصالح.

والعلم له مبدأ، وهو: قوة العقل الذي هو الفهم والحفظ، وتمام، وهو: قوة المنطق، الذي هو البيان والعبارة.

والعرب هم أفهم من غيرهم، وأحفظ وأقدر على البيان والعبارة، ولسانهم أتم الألسنة بيانًا وتمييزًا للمعاني، جمعًا وفرقًا، يجمع المعاني الكثيرة في اللفظ القليل، إذا شاء المتكلم الجمع ثم يميز بين كل شيئين مشتبهين بلفظ آخر مميز مختصر، كما تجده من لغتهم في جنس الحيوان، فهم- مثلاً- يعبرون عن القدر المشترك بين الحيوان بعبارات جامعة، ثم يميزون بين أنواعه في أسماء كل أمر من أموره: من الأصوات، والأولاد، والمساكن، والأطفال إلى غير ذلك من خصائص اللسان العربي، التي لا يستراب فيها.

وأما العمل: فإن مبناه على الأخلاق وهي الغرائز

المخلوقة في النفس، وغرائزهم أطوع للخير من غيرهم، فهم أقرب للسخاء، والحلم، والشجاعة، والوفاء، وغير ذلك من الأخلاق المحمودة، لكن كانوا قبل الإسلام طبيعة قابلة للخير، معطلة عن فعله، ليس عندهم علم منزل من السماء، ولا شريعة موروثة عن نبي، ولا هم أيضًا مشتغلين ببعض العلوم العقلية المحضة، كالطب والحساب، ونحوها، إنما علمهم ما سمحت به قرائحهم: من الشعر والخطب، وما حفظوه من أنسابهم وأيامهم، وما احتاجوا إليه في دنياهم من الأنواء والنجوم، أو من الحروب. (اقتضاء الصراط المستقيم: ١/٤٤٧).

وتحضرني في ذلك قصة بديعة في وقاية السوء ورفع البلاء بسبب الإحسان إلى الناس.

قَالَ حَاتِمُ بنُ الجَرَّاحِ: قال عَلِيَّ بنَ الحَسَنِ بن شَقِيْقٍ: سَمِعْتُ ابْنَ المُبَارَكِ، وَسَأَلَهُ رَجُل عَنْ قَرْحَةٍ خَرَجتْ فِي رُكبَته مُنْذُ سَبْعِ سِنِيْنَ، وَقَدْ عَالَجتُهَا بِأَنْوَاعِ العلاجِ، وَسَأَلْتُ الأَطبَّاءَ، فَلَمْ أَنْتَفِعْ به، فَقَالَ لَهُ: اذْهَبْ، فَاحفرْ بِئْرًا فِي مَكَانٍ حَاجَةٍ إِلَى المَاءِ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَنبعَ هُنَاكَ عَيْنٌ، وَيُمْسِكَ عَنْكَ الدَّمَ، فَفَعلَ الرَّجُلُ، فَبَرَأَ (السير: ٨/٤٠٧). فاللهم اجعلنا من المحسنين.

حديث بدء الوحي وكلام الرشيدة القدوة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها:

لَقَدْ كانَتْ أُمُّنَا خَدِيجَةُ امْرَأَةً عَاقِلَةً وَافِرَةَ العَقْلِ، رَشِيدَةً كاملةَ الرُّشْدِ، وَكَانَتْ- واللّه - عظيمةَ الفضلِ كثيرةَ العلمِ، عَظِيمَةَ الحِلْمِ، قَدِيمَةَ السِّلْمِ، مِنَ الإِسْلَامِ بِمَكَانٍ.

وَقَدْ هَيَّأَهَا اللّه تَعَالَى لِتَكُونَ عَوْنًا لنَبيِّنَا صلى الله عليه وسلم وَسَنَدًا لَهُ، وَمَسْلاةً لِهُمُومه فِي مَهْد دَعْوَته الَّتي كَانَتْ أَشَدَّ أَوْقَات الدَّعْوَةِ وَأَصْعَبَ مَرَاحِلِ تَبْلِيغ الرِّسَالَةِ.

وَمِنَ العَجَبِ العَاجِبِ أَنَّ خَدِيجَةَ- رضي الله عنها- آمنتْ حَالَ الكِبَرِ، فقد كانت حِينَ نُبِّئَ عليه الصلاة والسَّلَامُ زُهَاءَ الخامسة والخمسين، ولئن كانتْ الأيامُ والليالي أَبْلَيْنَ عَظمَها، وشَيَّبْنَ رأسَها، فإن همتها في إقبالها على الإسلام وخدمته - على كبر سنها- لم تَبْلَ ولم تَشِبْ.

وسبحان من قلوب العباد بين أصبعين من أصابعه يقلبها كيف يشاء حتى فاوت بين الهمم تفاوتًا كبيرًا فمنها فوق الثريا ومنها تحت الثرى نسأل الله الثبات حتى الممات.

ولله درُّ القائل:

مَا شَابَ حَزْمِي وَلاَ عَزْمِي وَلاَ خُلُقِي
وَلاَ وَلاَئِي وَلاَ دِينِي وَلاَ كَرَمِي
وَإِنَّمَا اعْتَادَ شَعْرُ رَأْسِي غَيْرَ صِبْغَتِه
وَالشَّيْبُ فِي الرَّأْسِ غَيْرُ الشَّيْبِ فِي الهِمَمِ

وَالمَعْهُودُ أَنَّ الشَّبَابَ أَقْبَلُ لِلْحَقِّ وَأَهْدَى لِلسَّبِيلِ مِنَ الشُّيُوخِ الَّذِينَ عَتَوْا فِي البَاطِلِ عُتُوًّا كَبِيرًا، وَعَسَوْا فِيه حِينًا مِنَ الدَّهْرِ.

وَلِهَذَا كَانَ أَكْثَرُ المُسْتَجِيبِينَ للهِ وَرَسُولِه مِنَ الشَّبَابِ بَيْدَ أَنَّ أَكْثَرَ الشُّيُوخِ صَدُّوا وَنَدُّوا وَعَانَدُوا وَلَمْ يُؤْمِنُوا.

وَفِي حَدِيثِ بَدْءِ نُزُولِ الوَحْيِ أَصْدَقُ شَاهِدٍ وَأَوْضَحُ بُرْهَانٍ عَلَى كَمَالِهَا وَسَدَادِ عَقْلِهَا.

رَوَى الإِمَامُ البخاري في صحيحه من حديث عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ:

أَوَّلُ مَا بُدِئَ به رَسُولُ اللّه صَلَّى اللّه عَلَيْه وَسَلَّمَ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْه الخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ- وَهُوَ التَّعَبُّدُ- اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِه، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: " مَا أَنَا بِقَارِئٍ "، قَالَ: " فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ) (العلق: ٢) " فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللّه صَلَّى اللّه عَلَيْه وَسَلَّمَ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ

عَلى خَديجَةَ بِنْت خُوَيْلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فقَالَ: "زَمِّلُوني زَمِّلُوني" فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فقَالَ لِخَديجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: "لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي" فقَالَتْ خَديجَةُ: كَلاَّ وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ.

فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَديجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى ابْنَ عَمِّ خَديجَةَ وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فقَالَتْ لَهُ خَديجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبَرَ مَا رَأَى، فقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: "هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ"، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلاَّ عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الوَحْيُ اهـ.

سورة الضحى (فأما اليتيم فلا تقهر):

لما رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، ودَخَلَ عَلَى خَديجَةَ بِنْتِ خُوَيْلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فقَالَ: " زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي " فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فقَالَ لِخَديجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: " لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي " فقَالَتْ خَديجَةُ: كَلاَّ وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ (وفي بعض النسخ: يُحْزِنُكَ) اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ.

في هذا السِّيَاقِ استدلت الصحابية الصالحةُ الخيرةُ والزوجة الفاضلةُ الشريفةُ الكريمةُ العاقلةُ خديجةُ- رضي الله عنها- بأن من جمع الله فيه صفات الخير وحميد الخصال وجميل الخلال فلا يلحقُه الخزيُ ولا يدركُه الحزنُ، ولم يخالجها في هذا الأمر شكٌ، بدليل أنَّها أقسمتْ على ذلكَ، وجعلتْه أمرًا مُؤبَّدًا، حين قَالَ لَهَا: " لَقَدْ خشيتُ عَلَى نَفسي، فقالَتْ لَهُ: أَبْشِرْ فَوَاللهِ لا يُخْزِيكَ الله أَبَدًا ".

ثُمَّ اسْتَدَلَّتْ بِمَا فيه مِنَ الصِّفَاتِ الْفَاضلَة وَالأَخْلاَقِ وَالشِّيَمِ عَلَى أَنَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ لاَ يُخْزَى أَبَدًا، فَعَلِمَتْ بِكَمَالِ عَقْلِهَا وَفِطْرَتِهَا أَنَّ الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَالأَخْلاَقَ الْفَاضلَةَ وَالشِّيَمَ الشَّرِيفَةَ تُنَاسِبُ أَشْكَالَهَا مِنْ كَرَامَةِ اللهِ وَتَأْيِيدِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَلاَ تُنَاسِبُ الْخِزْيَ وَالْخِذْلاَنَ، وَإِنَّمَا يُنَاسِبُهُ أَضْدَادُهَا، فَمَنْ رَكَّبَهُ اللهُ عَلَى أَحْسَنِ الصِّفَاتِ، وَأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ وَالأَعْمَالِ إِنَّمَا يَلِيقُ بِهِ كَرَامَتُهُ وَإِتْمَامُ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِ، وَمَنْ رَكَّبَهُ عَلَى أَقْبَحِ الصِّفَاتِ وَأَسْوَأِ الأَخْلاَقِ وَالأَعْمَالِ إِنَّمَا يَلِيقُ بِهِ مَا يُنَاسِبُهَا) (زاد المعاد: ١٧/٣).

وَقَالَ ابن القيم أَيْضًا: وَكَذَلِكَ اسْتِدْلاَلُ الصِّدِّيقَةِ الْكُبْرَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ خَدِيجَةَ بِمَا عَرَفَتْهُ مِنْ حِكْمَةِ الرَّبِّ تَعَالَى وَكَمَالِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَرَحْمَتِهِ أَنَّهُ لاَ يُخْزِي مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم فَإِنَّهُ يَصِلُ الرَّحِمَ وَيَحْمِلُ الْكَلَّ وَيَقْرِي الضَّيْفَ وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ.

وَإِنَّ من كان بهذه المثابة فإن العزيز الرحيم الذي هو أحكم الحاكمين وإله رب العالمين لا يخزيه ولا يسلط عليه الشيطان وهذا استدلال منها قبول ثبوت النبوة والرسالة بل استدلال على صحتها وثبوتها في حق من هذا شأنه فهذا معرفة منها بمراد الرب تعالى وما يفعله من أسمائه وصفاته وحكمته ورحمته واحسانه ومجازاته المحسن بإحسانه وأنه لا يضيع أجر المحسنين اهـ. (إعلام الموقعين: ١/١٢٩). وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ: ثُمَّ اسْتَدَلَّتْ عَلَى مَا أَقْسَمَتْ عَلَيْهِ مِنْ نَفْيِ ذَلِكَ أَبَدًا بِأَمْرٍ اسْتِقْرَائِيٍّ وَصَفَتْهُ بِأُصُولِ مَكَارِمِ الأَخْلاَقِ اهـ. (فتح الباري: ١/ ٢٤ (٣)).

قال ابن حجر: وَالْخِزْيُ الْوُقُوعُ فِي بَلِيَّةٍ وَشُهْرَةٍ بِذِلَّةٍ اهـ. (فتح الباري: ٨/ ٧٢٠ (٤٩٥٣)). وللحديث بقية إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.

فقر المشاعر

الحلقة الأولى

إعداد/ د. محمد إبراهيم الحمد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعدُ:

فهذه كلمات حول ظاهرة تحتاج إلى بسط، والقاء ضوء، وعلاج، تلكم هي ظاهرة: «فقر المشاعر».

هذه الظاهرة التي عمت، وكثرت الشكوى منها، وصارت من ضمن ما يبحث فيه المصلحون، ويسعون إلى علاجه.

فهذا ما استثار الهمة، وأخذ برأس القلم يجره إلى الكتابة في هذا الموضوع.

والحديث عنها سيبدأ بتوطئة ومدخل، ثم يتناول الحديث مظاهر هذه الظاهرة، ثم يكون الحديث عن الأسباب التي ترتقي بالمشاعر، وتنهض بها.

توطئة ومدخل:

الإنسان مركَّب من جسد وروح ومشاعر، فليس جمادًا أصم، وليست حاجته قاصرة على الطعام والشراب فحسب، بل هو محتاج مع ذلك إلى غذاء عقله، وروحه، ومشاعره، وتفصيل ذلك يطول، وليس هذا مجال بسطه.

وحسب الحديث هاهنا أن يدور حول المشاعر، وحاجة الإنسان إليها، فالذي يلاحظ في حياتنا اليومية أننا نعاني من فقر المشاعر الإنسانية الصادقة المعتدلة؛ فتجد من الناس من هو جاف لا تكاد تحظى منه بكلمة شكر، أو ابتسامة محب، أو دعوة مخلص.

ومنهم من هو متملق محتال يزجي المديح بلا كيل لمن يستحق ولمن لا يستحق؛ إما رغبة أو رهبة أو لأجلهما جميعًا؛ فإذا انقضت مصلحته قَلَبَ ظهر المِجَنّ، وعرَّى أفراسَ الصبا ورواحلَه.

أما من يقابل الناس بالبشر، ويصافحهم براحة كريمة، ويثني عليهم إذا هم أجادوا، ويردهم إلى الصواب برفق إذا هم أخطأوا، ويسدي إليهم المعروف إذا هم احتاجوا دون أن يكون خائفًا منهم أو راجيًا لهم- فذلك قليل في الناس، غريب بينهم.

ومن كان كذلك أحدقت إليه الضمائر الحرة، وأولته ودًّا وانعطافًا؛ وأساغت عشرته، وأصاخت السمع لما يقوله.

ولكن هذا الصنف- مع الأسف- قليل؛ لأن المصالح الخاصة قد طغت، فصارت المعاملة إلى النفعية أقرب منها إلى المروءة والإنسانية.

ولا ريب أننا بحاجة ماسة إلى كمية كبيرة من المشاعر الصادقة؛ حتى نحفظ الود فيما بيننا، ونبعد عن شبح الأوهام التي تعترينا، ولأجل أن تكون حياتنا مليئة بالمسرات، بعيدة عن المكدرات والمنغصات.

وإن المتأمل في حياتنا ليرى عجبًا؛ فلغة المشاعر التي تضفي علينا الدفء في قَرِّ الشتاء، وتهب علينا بالنسيم العليل في حر الهجير- تكاد تنقرض عند فئام الناس في هذه الأزمان.

كيف يكون ذلك؛ ونحن نتفيأ ظلال دين عظيم يرعى هذا الجانب حق رعايته، ويحذِّر من أن تتضاءل تلك العواطف النبيلة، فيضيع بسبب ذلك من حقائق الشريعة، وعزة أهلها ما يضيع؟!

ومن هنا جاء الإسلام بما يربي تلك المعاني، ويحييها في النفوس؛ فنصوص الوحيين- التي لم تغادر صغيرة ولا كبيرة إلا وأحاطت بها إجمالاً أو تفصيلاً- مليئة بتقرير تلك المعاني السامية التي تنهض بالمشاعر، وتقضي على روح الأثرة والقسوة، والغلظة.

فلو أجلت فكرك في حِكَم الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج- وهي أعظم دعائم الإسلام بعد الشهادتين- لوجدت أن من أعظم حكم تشريعها مراعاة المشاعر، وقيام روح الألفة والمودة بين المسلمين.

ولو ألقيت نظرة فيما يقرره الشارع من أوامرَ ونواهٍ وما جرى مجرى ذلك لرأيت ذلك رأي العين.

ألا ترى أن الشارع يقرر ألا ننسى الفضل بيننا، وأن أحدنا لا يؤمن حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وأن المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يسلمه، ولا يحقره؟

أليس الشارع يأمرنا بستر عورات المسلمين، والسعي في قضاء الحوائج، وتنفيس الكربات، وعيادة المرضى، وتشييع الجنائز؟

أليس يأمر بإفشاء السلام، والرحمة بالخلق، والعطف عليهم، وحسن رعايتهم، ومداراتهم، والصبر على أذاهم.

أليس يأمر ببر الوالدين، وصلة الأرحام، وإكرام الجار، والوفاء للأصحاب، وحسن المعاملة للزوج والأولاد.

أليس يأمر بالأمانة وإنجاز الوعد، وحسن الظن، إلى ذلك من الأوامر التي ليس بعدها أمل لآمل، ولا زيادة لمستزيد.

وفي مقابل ذلك، فهو ينهى عن أمور كثيرة من شأنها أن توهي حبال المودة بين المسلمين، أو تنقض عراها؛ فتراه ينهى عن العقوق، والقطيعة، وأذية الجار، والكبر، والحسد، والغل، والحقد، والبخل، والفظاظة، والوقاحة، والعناد، والغيبة، والنميمة، والسب، واللعن، وإفشاء السر، والسخرية بالناس، والتعبير بالعبارات المستقبحة، والتخاطب بالألقاب السيئة.

وينهى كذلك عن كثرة الجدال والخصومة، وعن المزاح البذيء، وعن الكلام فيما لا يغني، وعن الخيانة، والمكر، وإخلاف الوعد، والتحسس والتجسس، وتتبع العورات، والتهاجر، والتشاحن، والتدابر، وما إلى ذلك.

وتفصيلُ ما مضى، وذكرُ أدلته يحتاج إلى مجلدات ضخام، والمقام لا يسمح بذلك.

ومع ذلك كله فإن الناظر في أحوال إخوانه المسلمين يعتريه الأسى واللوعة؛ لما حل بهم من الشنآن، والقطيعة، والتهاجر، وجفاف المشاعر، وجفاء الطباع.

وهذا الأمر يشيع بين المسلمين، ويأخذ صورًا شتى، وفيما يلي تفصيل لبعض المظاهر، وذلك على النحو التالي:

أولاً: فقر المشاعر بين الوالدين والأولاد.

ثانيًا: فقر المشاعر في الحياة الزوجية.

ثالثًا: فقر المشاعر بين الزوجة ووالدي زوجها.

رابعًا: فقر المشاعر بين الجيران.

خامسًا: فقر المشاعر بين الطلاب والمعلمين.

سادسًا: مظاهر أخرى لفقر المشاعر.

وإلى ذلك التفصيل في العدد القادم إن شاء الله تعالى.

الأسرة المسلمة إيمان وأخلاق

الحلقة الثانية

إعداد/ جمال عبد الرحمن

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وآله وصحابته الغر الميامين وبعد:

اليسر في الزواج

فإذا كان الاختيار على الضوابط والشروط الشرعية فينبغي أن يعقب ذلك التيسير وليس التعسير والتشديد.

قال الله تعالى: «يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ» (البقرة: ١٨٥). والتشديد لا يجلب إلا الندم والعقوبة بمثلها.

- وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: " فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ» صحيح البخاري (١/٥٤).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ» صحيح مسلم (١٤٥٨/٣).

- قال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عَبْدَ اللَّهِ، أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ، وَتَقُومُ اللَّيْلَ؟»، فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «فَلاَ تَفْعَلْ صُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا (وهم الزوّار والضيوف)، وَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ كُلَّ شَهْرٍ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ»، فَشَدَّدْتُ، فَشُدِّدَ عَلَيَّ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً قَالَ: «فَصُمْ صِيَامَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَلاَ تَزِدْ عَلَيْهِ»، قُلْتُ: وَمَا كَانَ صِيَامُ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ؟ قَالَ: «نِصْفَ الدَّهْرِ»، فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَقُولُ بَعْدَ مَا كَبِرَ: يَا لَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. صحيح البخاري (٣٩/٣). وهنا يظهر تشديد عبد الله على نفسه، فرأى أثر ذلك تعبًا ومشقة لما كبرت سنه.

قال النووي رحمه الله تعالى: :مَعْنَاهُ أَنَّهُ كَبِرَ وَعَجَزَ عَنِ الْمُحَافَظَةِ عَلَى مَا الْتَزَمَهُ وَوَظَّفَهُ عَلَى نَفسه عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَشَقَّ عَلَيْهِ فِعْلُهُ وَلَا يُمْكِنُهُ تَرْكُهُ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: "يَا عَبْدَ اللَّهِ لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ". شرح النووي على مسلم (٤٣/٨)

وقال ابن حجر رحمه الله تعالى: وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَقُولُ: لَأَنْ أَكُونَ قَبِلْتُ الرُّخْصَةَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عَدَلَ بِهِ". فتح الباري لابن حجر (٢٢٠/٤).

وأنتم يا من تتولون تزويج أبنائكم وبناتكم ألا تحبون أن يرفق الله بكم"!! فارفقوا بالناس.

نموذج من الرفقاء:

عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، يَقُولُ: " خَطَبْتُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ابْنَتَهُ وَنَحْنُ فِي الطَّوَافِ فَسَكَتَ وَلَمْ يُجِبْنِي بِكَلِمَةٍ، فَقُلْتُ: لَوْ رَضِيَ لَأَجَابَنِي، وَاللَّهِ لَا أُرَاجِعُهُ فِيهَا بِكَلِمَةٍ أَبَدًا، فَقُدِّرَ لَهُ أَنْ صَدَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ قَبْلِي، ثُمَّ قَدِمْتُ فَدَخَلْتُ مَسْجِدَ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَأَدَّيْتُ إِلَيْهِ مِنْ حَقِّهِ

مَا هُوَ أَهْلُهُ، فَأَتَيْتُهُ وَرَحَّبَ بِي وَقَالَ: مَتَى قَدِمْتَ؟ فَقُلْتُ: هَذَا حِينَ قُدُومِي، فَقَالَ: «أَكُنْتَ ذَكَرْتَ لِي سَوْدَةَ بِنْتَ عَبْدِ اللهِ وَنَحْنُ فِي الطَّوَافِ نَتَخَايَلُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بَيْنَ أَعْيُنِنَا، وَكُنْتَ قَادِرًا أَنْ تَلْقَانِي فِي غَيْرِ ذَلِكَ الْمَوْطِنِ؟» فَقُلْتُ: كَانَ أَمْرًا قُدِّرَ، قَالَ: «فَمَا رَأْيُكَ الْيَوْمَ؟» قُلْتُ: أَحْرَصُ مَا كُنْتُ عَلَيْهِ قَطُّ، فَدَعَا ابْنَيْهِ سَالِمًا وَعَبْدَ اللهِ فَزَوَّجَنِي. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/٣٠٩).

- شراء الرجال لا شراء الأموال

عَنْ حُمَيْدٍ الطَّوِيلِ، قَالَ: خَطَبَ رَجُلٌ إِلَى الْحَسَنِ وَكُنْتُ أَنَا السَّفِيرَ بَيْنَهُمَا قَالَ: فَكَأَنَّ قَدْ رَضِيَهُ فَذَهَبْتُ يَوْمًا أُثْنِي عَلَيْهِ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقُلْتُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، وَأَزِيدُكَ أَنَّ لَهُ خَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ قَالَ: «لَهُ خَمْسُونَ أَلْفًا مَا اجْتَمَعَتْ مِنْ حَلَالٍ» قُلْتُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، إِنَّهُ كَمَا عَلِمْتَ وَرِعٌ مُسْلِمٌ قَالَ: «إِنْ كَانَ جَمَعَهَا مِنْ حَلَالٍ فَقَدْ ضَنَّ بِهَا عَنْ حَقٍّ، لَا وَاللهِ لَا جَرَى بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ صِهْرٌ أَبَدًا». (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٢/١٥١).

وهكذا لم يفتن الحسن البصري بكثرة مال المتقدم لابنته، بل خاف منه أن يكون جموعًا منوعًا.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، يُحَدِّثُ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، حِينَ تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ مِنْ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، تُوُفِّيَ بِالْمَدِينَةِ، قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، قَالَ: سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ، فَقَالَ: قَدْ بَدَا لِي أَنْ لَا أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا، قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، فَكُنْتُ عَلَيْهِ أَوْجَدَ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ «خَطَبَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ» فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ، إِلَّا أَنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ ذَكَرَهَا، فَلَمْ أَكُنْ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَوْ تَرَكَهَا لَقَبِلْتُهَا. صحيح البخاري (٥/٨٣).

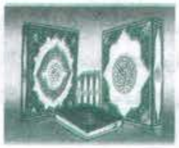
- ابحث عن الرجل الصالح

مَرِضَ خَيْثَمَةُ قَارِئُ الْقُرْآنِ، فَجَاءَتْهُ امْرَأَتُهُ، فَجَلَسَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَبَكَتْ، فَقَالَ لَهَا: "مَا يُبْكِيكِ؟ الْمَوْتُ لَابُدَّ مِنْهُ. فَقَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: الرِّجَالُ بَعْدَكَ عَلَيَّ حَرَامٌ. فَقَالَ لَهَا خَيْثَمَةُ: "مَا كُلُّ هَذَا أَرَدْتُ مِنْكِ، إِنَّمَا كُنْتُ أَخَافُ رَجُلًا وَاحِدًا، وَهُوَ أَخِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَهُوَ رَجُلٌ فَاسِقٌ يَتَنَاوَلُ الشَّرَابَ، فَكَرِهْتُ أَنْ يَشْرَبَ فِي بَيْتِي الشَّرَابَ بَعْدَ إِذِ الْقُرْآنُ يُتْلَى فِيهِ كُلَّ ثَلَاثٍ". حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٤/١١٥).

- عبرة فيمن لا يهتم بدين المرأة ومن يهتم:

قَالَ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى: " كُنْتُ عِنْدَ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ أَشْكُو إِلَيْكَ مِنْ فُلَانَةَ- يَعْنِي امْرَأَتَهُ- أَنَا أَذَلُّ الْأَشْيَاءِ عِنْدَهَا وَأَحْقَرُهَا، فَأَطْرَقَ سُفْيَانُ مَلِيًّا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: لَعَلَّكَ رَغِبْتَ إِلَيْهَا لِتَزْدَادَ عِزًّا فَقَالَ: نَعَمْ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ قَالَ: مَنْ ذَهَبَ إِلَى الْعِزِّ ابْتُلِيَ بِالذُّلِّ، وَمَنْ ذَهَبَ إِلَى الْمَالِ ابْتُلِيَ بِالْفَقْرِ، وَمَنْ ذَهَبَ إِلَى الدِّينِ يَجْمَعُ اللهُ لَهُ الْعِزَّ وَالْمَالَ مَعَ الدِّينِ، ثُمَّ أَنْشَأَ يُحَدِّثُهُ فَقَالَ: كُنَّا إِخْوَةً أَرْبَعَةً، (مُحَمَّدٌ، وَعِمْرَانُ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَأَنَا، فَمُحَمَّدٌ أَكْبَرُنَا، وَعِمْرَانُ أَصْغَرُنَا، وَكُنْتُ أَوْسَطَهُمْ، فَلَمَّا أَرَادَ مُحَمَّدٌ أَنْ يَتَزَوَّجَ رَغِبَ فِي الْحَسَبِ، فَتَزَوَّجَ مَنْ هِيَ أَكْبَرُ مِنْهُ حَسَبًا، فَابْتَلَاهُ اللهُ بِالذُّلِّ، وَعِمْرَانُ رَغِبَ فِي الْمَالِ فَتَزَوَّجَ مَنْ هِيَ أَكْثَرُ مِنْهُ مَالًا فَابْتَلَاهُ اللهُ بِالْفَقْرِ، أَخَذُوا مَا فِي يَدَيْهِ وَلَمْ يُعْطُوهُ شَيْئًا، فَبَقِيتُ فِي أَمْرِهِمَا، فَقَدِمَ عَلَيْنَا مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ فَشَاوَرْتُهُ، وَقَصَصْتُ عَلَيْهِ قِصَّةَ إِخْوَتِي، فَذَكَّرَنِي حَدِيثَ يَحْيَى بْنِ جَعْدَةَ وَحَدِيثَ عَائِشَةَ، فَأَمَّا حَدِيثُ يَحْيَى بْنِ جَعْدَةَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ عَلَى أَرْبَعٍ: عَلَى دِينِهَا، وَحَسَبِهَا، وَمَالِهَا، وَجَمَالِهَا، فَعَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ". وَحَدِيثُ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَعْظَمُ النِّسَاءِ بَرَكَةً أَيْسَرُهُنَّ مُؤْنَةً». فَاخْتَرْتُ لِنَفْسِي الدِّينَ، وَتَخْفِيفَ الظَّهْرِ اقْتِدَاءً بِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَجَمَعَ اللهُ لِيَ الْعِزَّ وَالْمَالَ مَعَ الدِّينِ". حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٧/٢٨٩).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.



تحذير الداعية
من القصص الواهية

الحلقة (١٩٦)

قصة اسم الله الأعظم الذي طلبت عائشة رضي الله عنها أن تتعلّمه

إعداد/ علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت عند الطرقية حتى جعلوها وردًا من أورادهم، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

أولاً: المتن:

رُوِيَ عن أنس: قالَ رَسُولُ اللَّه، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: "سَأَلْتُ اللَّهَ الاسْمَ الأَعْظَمَ فَجَاءَنِي بِهِ جِبْرِيلُ مَخْزُونًا مَخْتُومًا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْمَخْزُونِ الْمَكْنُونِ، الْمُطَهَّرِ الطَّاهِرِ الطُّهْرِ الْمُقَدَّسِ الْمُبَارَكِ الْحَيِّ الْقَيُّوم، قَالَتْ عَائِشَةُ: بِأَبِي وَأُمِّي، يَا رَسُولَ اللَّه، عَلِّمْنِيه، فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ، نُهِينَا عَنْ تَعْلِيمِهِ النِّسَاءَ وَالصِّبْيَانَ وَالسُّفَهَاءَ". اهـ.

ثانيًا: التخريج:

هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة أخرجها الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (١٦٨/٢) (٣٥٦/٣١) قال: «حدثنا عبد الرحمن بن محمد القرشي، حدثنا محمد بن زياد بن معروف، أخبرنا جعفر بن جسر، أخبرني أبي، حدثني ثابت البناني عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سألت الله الاسم الأعظم.. الحديث». اهـ.

وأخرجه من طريقه الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (١٧٠/٣) كتاب «الدعاء» باب: «في ذكر اسم الله الأعظم» قال: «أنبأنا إسماعيل بن أحمد، أنبأنا إسماعيل بن سعدة، أنبأنا حمزة بن يوسف، أنبأنا أبو أحمد بن عدي حدثنا عبد الرحمن بن محمد القرشي به».

ثالثًا: بيان تصحيف

هناك تصحيف وقع في الإسناد عند ابن الجوزي في «الموضوعات» ط. دار الفكر، الطبعة الأولى (١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م)، والثانية (١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م)، وهذا التصحيف يحسبه من لا دراية له أنه هين، ولكنه عند من الحديث صناعته عظيم، حيث يتبين الإمام الحافظ أبو عمرو عثمان بن الصلاح أهميته في «علوم الحديث» الفرع (٣٥)، فقال: «معرفة المصحَّف: هذا فن جليل ينهض بأعبائه الحذاق من الحفاظ». اهـ. وذكره الإمام النووي في «التقريب» (١٩٣/٢- تدريب)- وهو اختصار «علوم الحديث» لابن الصلاح- قال: «معرفة المصحَّف: هو فن جليل إنما يحققه الحذاق». اهـ.

ونقله في «شرح التقريب» الإمام السيوطي وسمَّاه «تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي» وقال أنه: «فن جليل مهم». اهـ.

قلتُ: وهذا بيان التصحيف في الإسناد:

١-قال الإمام الحافظ ابن عدي كما هو مبيَّن من التخريج آنفًا: حدثنا عبد الرحمن بن محمد القرشي، حدثنا محمد بن زياد بن معروف، أخبرنا جعفر بن جسر أخبرني أبي، حدثني ثابت البناني عن أنس مرفوعًا.

٢- أخرج ابن الجوزي الحديث من طريق ابن عدي فجاء في الإسناد: أنبأنا أبو أحمد بن عدي، حدثنا عبد الرحمن بن محمد القرشي أخبرنا جعفر بن حسن قال: أخبرني أبي حسن حدثني ثابت البناني عن أنس مرفوعًا.

٣- بالمقارنة بين الإسنادين نجد:

أ- أن الإسناد عند ابن عدي له «جعفر بن جسر أخبرني أبي» صُحِّف عند ابن الجوزي إلى: «جعفر بن حسن أخبرني أبي حسن».

ب- تحريف في السند وذلك بإسقاط الراوي «محمد بن زياد بن معروف» في الإسناد عند ابن الجوزي.

جـ- هذا التصحيف والإسقاط يؤيده ما نقله

الإمام الذهبي في «الميزان» (١٤٧٩/٣٩٨/١) لهذا الحديث سندًا ومتنًا عن الإمام ابن عدي وما نقله كذلك الحافظ ابن حجر في «اللسان» (١٣٢/٢) (٩٤٧/٨٠)، وكذلك ما نقله الإمام السيوطي في «اللآلئ» (٣٥٤/٢).

قلتُ: وإن تعجب فعجب أن يُصحِّف الراوي: «جسر» إلى «حسن» وجسر وابنه جعفر هما آفة هذا الحديث كما يتبين من التحقيق.

رابعًا: التحقيق:

هذه القصة التي جاء بها هذا الخبر واهية والخبر لا يصح وهو من طريق «جعفر بن جسر عن أبيه عن ثابت البُناني عن أنس مرفوعًا»، وهو مسلسل بالعلل:

١- أصحاب ثابت البُناني:

قال الإمام الحافظ عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (٧٣٦هـ- ٧٩٥هـ) في كتابه «شرح علل الترمذي» (٤٩٩/٢): «أصحاب ثابت البناني وفيهم كثرة وهم ثلاثة طبقات:

الطبقة الأولى: الثقات: كشعبة، وحماد بن زيد، وسليمان بن المغيرة، وحماد بن سلمة، ومعمر، وأثبت هؤلاء كلهم في ثابت حماد بن سلمة، كذا قال أحمد في رواية ابن هانئ...».

ثم نقل عن الإمام علي بن المديني شيخ البخاري قوله: «لم يكن في أصحاب ثابت أثبت من حماد بن سلمة ثم من بعده سليمان بن المغيرة ثم من بعده حمّاد بن زيد وهي صحاح» يعني أحاديث هؤلاء الثلاثة عن ثابت. اهـ.

قلتُ: ثم ذكر الحافظ ابن رجب بقية أقوال الأئمة حول هذه الطبقة.

الطبقة الثانية: الشيوخ: قال الحافظ ابن رجب: مثل الحكم بن عطية، وقد ذكر أحمد الحكم بن عطية فقال: «هؤلاء الشيوخ يخطئون على ثابت، وذكر للحكم بن عطية عن ثابت عن أنس مناكير». اهـ.

وقال أيضًا: «سهيل بن أبي حزم، وبيّن أنه يروي عن ثابت منكرات». وقال في عمارة بن زاذان: «يروي عن ثابت أحاديث مناكير». اهـ.

ثم قال الحافظ ابن رجب: «الطبقة الثالثة: الضعفاء والمتروكين»:

«وفيهم كثرة كيوسف بن عطية الصغار.. قال أحمد في رواية أبي طالب: «أهل المدينة إذا كان الحديث غلطًا يقولون: ابن المنكدر عن جابر، وأهل البصرة يقولون: ثابت عن أنس يحيلون عليهما». اهـ.

قال الحافظ ابن رجب: «ومراد أحمد بهذا كثرة من يروي عن ابن المنكدر من ضعفاء أهل المدينة، وكثرة من يروي عن ثابت من ضعفاء أهل البصرة، وسيئ الحفظ والمجهولين منهم، فإنه كثرت الرواية عن ثابت من هذا الضرب فوقعت المنكرات في حديثه، وإنما أُوتي من جهة من روى عنه من هؤلاء، ذكر هذا المعنى ابن عدي وغيره. ولما اشتهرت رواية ابن المنكدر عن جابر، ورواية ثابت عن أنس صار كل ضعيف وسيئ الحفظ إذا روى حديثًا عن ابن المنكدر يجعله عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم، وإن رواه عن ثابت جعله عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم هذا معنى كلام الإمام أحمد رحمه الله ورضي الله عنه». اهـ.

خامسًا: التطبيق:

بتطبيق ما بيناه آنفًا مما ذكره الإمام الحافظ ابن رجب في الطبقات الثلاثة من أصحاب ثابت البناني على هذه القصة التي جاءت من حديث جسر بن فرقد عن ثابت.

١- نجد أن الطبقة الثالثة تنطبق تمام الانطباق على هذه القصة التي جاءت من حديث جسر بن فرقد عن ثابت؛ حيث إن جسر بن فرقد من الضعفاء والمتروكين كما سنبين بالتفصيل، والطبقة الثالثة هم الضعفاء والمتروكين الذين رووا عن ثابت.

٢- قال الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (١٦٨/٢) (٣٥٦/٣١): «جسر بن فرقد القصَّاب بصري يكنى أبا جعفر»، ثم أخرج له هذا الخبر الذي جاءت به القصة وجعله من مناكير جسر بن فرقد كما بينا آنفًا، ثم قال: «هذه الأحاديث التي أمليتها عن محمد بن زياد، عن جعفر بن جسر عن أبيه لا يرويها عن جسر غير ابنه جعفر، وجسر هو في الضعفاء وابنه مثله، وأحاديثه عامتها غير محفوظة». اهـ.

قلتُ: وفي صدر ترجمة جسر خرّج أقوال الإمام يحيى بن معين فيه حيث قال الحافظ ابن عدي:

أ- حدثنا علي بن أحمد بن سليمان، حدثنا أحمد بن سعد بن أبي مريم، قالت: سألت- يعني يحيى بن معين- عن جسر أبي جعفر فقال: ليس بشيء، ولا يكتب حديثه». اهـ.

ب- ثم قال: حدثنا محمد بن علي المروزي قال: حدثنا عثمان بن سعيد الدارمي، سألته- يعني يحيى بن معين- عن جسر: كيف هو؟ قال: لا شيء». اهـ.

جـ- وقال: حدثنا ابن حماد، حدثنا عبد الله بن أحمد، قال لي يحيى بن معين ابتداء من عنده وذكر جسر بن فرقد فقال: ليس بشيء». اهـ.

قلتُ: ومصطلح الإمام يحيى بن معين إذا قال في الراوي: «لا شيء» له معناه، حيث قال الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٤٥٨/٢) (٣٠٦٧/١٣): «وقال ابن أبي حاتم: معنى قول ابن معين: «لا شيء» ليس بثقة». اهـ.

قلتُ: قاله الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١٤٣٩/٣٢١/٣).

٤- ولقد بيَّنا لنا الإمام الحافظ ابن حبان السبب الذي من أجله قال الإمام ابن معين في جسر بن فرقد: «لا شيء» وقول الإمام ابن أبي حاتم: ومعنى قول ابن معين: لا شيء: ليست بثقة؛ حيث قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢١٧/١): «جعفر بن فرقد القصَّاب كنيته أبو جعفر من أهل البصرة حدث عنه البصريون، كان ممَّن غلب عليه التقشف حتى أُغْفي عن تعهد الحديث فأخذتهم إذا روى، ويخطئ إذا حدث حتى خرج عن حد العدالة سمعت محمد بن محمود يقول: سمعت الدارمي يقول: سألت يحيى بن معين عن جسر القصاب فقال: ليس بشيء». اهـ.

٥- أخرج الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (١٦٨/٢) قول الإمام البخاري في جسر فقال: حدثنا الجنيدي، حدثنا البخاري، قال: «جسر بن فرقد أبو جعفر البصري: ليس بالقوي». اهـ. ثم قال: سمعت ابن حماد يقول: قال البخاري: نحوه». اهـ.

قلتُ: وهذا المصطلح «ليس بالقوي» من الإمام البخاري له معناه وهذا ما نبه إلى أهميته الإمام الذهبي في «الموقظة» (ص٤٨) حيث قال: «ثم أهم من ذلك: أن نعلم بالاستقراء التام عُرْفَ ذلك الإمام الجهبذ واصطلاحه، ومقاصده بعباراته الكثيرة.

أما قول البخاري: «سكتوا عنه» فظاهرها أنهم ما تعرضوا له بجرح ولا تعديل وعلمنا مقصده بها بالاستقراء: أنها بمعنى متروك». اهـ.

قلتُ: ولقد بيَّن ذلك الحافظ ابن كثير في «اختصار علوم الحديث» (ص٨٨) قال: «ثُمَّ مصطلحات لأشخاص ينبغي التوقيف عليها، من ذلك أن البخاري إذا قال في الرجل: «سكتوا عنه» أو «فيه نظر» فإنه يكون في أولى المنازل وأردئها عنده ولكن لطيف العبارة في التخريج، فليعلم ذلك».

قلتُ: إذا كان هذا في قول الإمام البخاري في الرجل «سكتوا عنه» فماذا عن قوله في الرجل: «ليس بالقوي» كما في جسر بن فرقد والذي خرجناه آنفًا. ولقد علمنا مقصده بها بالاستقراء أنها بمعنى مطروح الحديث، ليس بشيء، ساء حفظه، متروك»، وهذا بالاستقراء فعلى سبيل المثال لا الحصر كما في «الميزان» تراجم (١٨٠٠، ٣١١٨، ٧٣٠١) ط. دار المعرفة بيروت.

٦- وقال الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» (٢٤٦/٢/١): «جسر بن فرقد أبو جعفر: ليس بذاك». اهـ.

قلتُ: واصطلاح البخاري: «ليس بذاك»، «ليس بالقوي» علمنا مقصده بالاستقراء أنه بمعنى منكر الحديث متروك.

٧- ولقد بَيَّن ذلك الإمام الدارقطني في «الضعفاء والمتروكين» (١٤٦) فقال: «جسر بن فرقد، بصري عن ثابت والحسن». اهـ.

فائدة: قد يتوهم البعض وكذلك من لا دراية له بمناهج المحدثين من أئمة الجرح والتعديل أن جسر بن فرقد لم يذكر فيه الإمام الدارقطني جرحًا ولا تعديل، وأنه سكت عنه، ولكن هيهات حيث بين الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن محمد بن غالب الخوارزمي البرقاني، وهو من أخص تلاميذ الدارقطني، حيث أملى عليه العلل وجمعها البرقاني وقرأها الناس من نسخته، يقول الإمام أبو بكر البرقاني في مقدمة كتاب «الضعفاء والمتروكين»: «طالت محاورتي مع أبي منصور إبراهيم بن حمكان لأبي حسن علي بن عمر الدارقطني عفا الله عني وعنهما في المتروكين من أصحاب الحديث، فتقرر بيننا وبينه على ترك من أثبته على حروف المعجم

في هذه الوريقات».

قلتُ: بهذا يتبين أن بإثبات اسم جسر بن فرقد في كتاب «الضعفاء والمتروكين» إقرار من الأئمة الثلاثة: الدارقطني، وأبو بكر البرقاني، وابن حَمكان على ترك جسر بن فرقد.

٨- وبهذا يتبين من أقوال أئمة الجرح والتعديل: أنه بصري من أهل البصرة وأنه لا شيء وليس بشيء يهم إذا روى ويخطئ إذا حدث حتى خرج عن حدّ العدالة، متروك.

وبهذا ينطبق عليه قول الإمام الحافظ ابن رجب في «شرح علل الترمذي» (٥٠٢/٢) فيكون من الطبقة الثالثة وهم الضعفاء والمتروكين ممّن روى عن ثابت من ضعفاء أهل البصر وسيئ الحفظ حتى كثرت الرواية عن ثابت من هذا الضرب فوقعت المنكرات في حديثه وإنما أُتي من جهة من روى عنه من هؤلاء، ولما اشتهرت رواية ثابت عن أنس صار كل ضعيف وسيئ الحفظ إذا روى حديثًا عن ثابت جعله عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا معنى كلام الإمام أحمد رحمه الله ورضي الله عنه. اهـ.

٩- قلت: وبهذا يتبين أن المنكرات التي وقعت في حديث ثابت وقعت من جهة من روى عنه من الضعفاء والمتروكين من أهل البصرة حتى جعلوها عن ثابت عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم، لذلك قال الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (١٧٠/٣) بعقب تخريجه للخبر الذي جاءت به قصة «اسم الله الأعظم الذي طلبت عائشة رضي الله عنها أن تتعلمه»: «هذا حديث موضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذب عليه. قال يحيى: جسر ليس بشيء، قال ابن عدي وأحاديث ابنه جعفر مناكير».

ولقد بيَّنا حال جسر بن فرقد من الضعف الشديد وابنه كما قال ابن عدي مثله، فقد قال الإمام الحافظ العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٢٣٢/١٨٧/١): «جعفر بن جسر بن فرقد القصاب بصري وحفظه فيه اضطراب شديد كان يذهب إلى القدر وحدّث بمناكير». اهـ.

قلتُ: فهذه القصة الموضوعة والتي من تطبيق قول الإمام الحافظ ابن رجب في «شرح علل الترمذي» كيف جعلوها عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم، تلك القصة التي من الغرائب كما بينا آنفًا، وقد نقل الإمام السيوطي في «التدريب» ما رواه ابن عدي عن أبي يوسف قال: «من طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب غريب الحديث كذب». وهو ما بينه الإمام أحمد بن حنبل.

سادسًا: بدائل صحيحة حول اسم الله الأعظم:

قال الإمام أبو داود في «السنن» (٧٩/٢) (ح١٤٩٣) حدثنا مسدد، حدثنا يحيى، عن مالك بن مِغول، حدثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقول: «اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، فقال: لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سُئل به أعطى وإذا دُعي به أجاب».

وقال الإمام أبو داود في «السنن» (ح١٤٩٤): حدثنا عبد الرحمن بن خالد الرقي، حدثنا زيد بن حباب، حدثنا مالك بن مِغول، بهذا الحديث قال فيه: «لقد سألت الله عز وجل باسمه الأعظم». اهـ.

وأخرجه الإمام ابن ماجه في «السنن» (ح٣٨٥٧) قال: حدثنا علي بن محمد، حدثنا وكيع عن مالك بن مغول بهذا الحديث، وفيه: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد سألت باسمه الأعظم، الذي إذا سُئل به أعطى، وإذا دُعي به أجاب». وأخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٢٣٠٩١) قال: حدثنا وكيع به- قلت: والحديث مشهور عن مالك بن مغول والحديث صحيح رجاله مالك فما فوقه من رجال الشيخين، ولقد أخرج الإمام مسلم بهذا السند عن مالك في «صحيحه» (ح٧٩٣): «إن عبد الله بن قيس أعطى مزمارًا من مزامير آل داود». وقد ثبت في «سنن ابن ماجه» (ح٣٨٥٨) من حديث أنس بن مالك قال: سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يقول: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، المنان بديع السماوات والأرض، ذو الجلال والإكرام، فقال: لقد سألت الله باسمه الأعظم الذي إذا سُئل به أعطى، وإذا دُعي به أجاب». اهـ.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

الفخر الرازي بعد أن أصَّل لما عليه الخلف.. يئوب - باعترافه هو وبشهادة أهل التحقيق - إلى نهج الأشعري وإلى ما كان عليه أمر السلف

الحلقة (٢٨)

إعداد/ د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فقد أشرنا آنفاً إلى أن ممن هداهم الله إلى طريقة سيد المرسلين وصحبه ومن تبعهم بإحسان، في قضية: (توحيد الصفات) بعد أن مال عنها ميلاً عظيماً: (فخر الدين الرازي) أشهر متكلمي الأشاعرة وإمام مذهب الخلف، والمعبِّر عن المذهب الأشعري في مرحلته الأخيرة.. ولا غرو! فقد كان صاحب القاعدة الكلية التي انتصر فيها للعقل وقدَّمه على الأدلة الشرعية، مصرحاً بأن هذه الأدلة لا تفيد اليقين ومن ثم لا يجب التمسك بها، الأمر الذي دعا الذهبي في (ميزان الاعتدال) ٣/٣٤٠ - وتبعه ابن حجر في (لسان الميزان) ٤/٤٢٦ - لأن يدخله ضمن (الضعفاء) وممن "عُرِّي من الآثار" من المبتدعة وأهل الكلام، يعني لكون ما قعَّد به وله، يستلزم:

١- عدم التيقن بنصوص الصفات التي قرر الأشاعرة الذين هو على رأسهم، قصر التدليل عليها بالأدلة العقلية التي تحيل - بزعمهم - هذه الصفات، دون النقلية التي لا تحيلها.

٢- وأن يصير الدين كله ظنياً لأن أسَّا الدين - الذي هو: (قال الله) و(قال الرسول) - هو على كلامه من الظن، والله نهى عن اتباع الظن.

وأشرنا إلى أنه قد عَدل عن كل ذلك وعما أغرق فيه من: استناد في (باب الصفات الخبرية والفعلية) إلى العقل وتأويلٍ للنقل، وخلطٍ للكلام بالفلسفة.

أ- الرازي يؤسس لمذهب الأشاعرة في جل كتبه ويؤكد قناعته به، قبل أن يتراجع عنه:

ونص عبارته في (المحصول) ١/٥٧٢، ٥٧٤ - وإبَّان حديثه عن شروط قطعية الدليل النقلي، وأن منها: سلامته من المقدمات الظنية التي يندرج تحتها: (نفي المعارض العقلي) -: "إنه لو قام دليل قاطع عقلي على نفي ما أشعر به ظاهر النقل، فالقول بهما: محال، لاستحالة وقوع النفي والإثبات، والقول بارتفاعهما: محال لاستحالة عدم النفي والإثبات، والقول بترجيح النقل على العقل: محال، لأن العقل أصل النقل، فلو كذبنا العقل لكُنَّا كذبنا أصل النقل، ومتى كذبنا أصل النقل فقد كذبنا النقل، فتصحيح النقل بتكذيب العقل يستلزم تكذيب النقل، فقلنا: لا بد من ترجيح دليل العقل".. ليخلص من كلامه هذا إلى: أن "التمسك بالأدلة النقلية مبني على مقدمات ظنية، والمبني على الظني ظني، وعليه فالتمسك بالدلائل النقلية - يعني: في حال وجود المعارض العقلي، ويعني به في باب الصفات: إيهام التشبيه والتجسيم والحدوث - لا يفيد إلا الظن".. ونصها في (المطالب العالية) ٣/٢٢١ وتحت عنوان (فصل في حصر صفات الله تعالى): "اعلم أن المتكلمين حصروا الصفات في هذه الثمانية، وهي: (كونه حيا، عالماً، قادراً، مريداً، سميعاً، بصيراً، متكلماً، باقياً)، فإذا قيل: فهل تثبتون لله صفة أخرى؟، قالوا: لا، لأن الدليل العقلي لم يدل إلا على هذه الصفات، وما لا دليل عليه - يعني: من العقل - يجب نفيه".. وفي تأييده لما عليه المتكلمون يقول في نفس الصفحة: "بل الواجب أن يقال: إن ما دل العقل على ثبوته قضينا بثبوته، وما لا يدل العقل على ثبوته ولا على عدمه، وجب التوقف فيه".

فهذه القواعد التي افترضها الرازي - والتي تقضي بأن القدح في العقل: يفضي إلى القدح في العقل والنقل معاً وأن ذلك باطل - قد أدى تسليمُه لها لأن يفصح عن أن الدلائل العقلية قاضية و"قاطعة بأن الدلائل النقلية إما أن يقال: إنها غير صحيحة، أو يقال: إنها صحيحة إلا أن المراد منها غير ظاهرها" فتُأوّل.. ولأن يردف قائلاً في أساس التقديس ص١٩٣: "ثم إن جوزنا التأويل اشتغلنا على سبيل التبرع بذكر تلك التأويلات على التفصيل، وإن لم يجز التأويل فوضنا العلم بها إلى الله".. ولأن يقرر حينذاك بأن "هذا، هو القانون الكلي المرجوع إليه في جميع المتشابهات".

وقد رددنا في الحلقة الماضية وما قبلها على كل ذلك بما تيسر، وأشرنا إلى أنه قد رجع عنه.. وحتى لا يكون تراجعه مصدر شك لدى البعض، فإنا نذكر هنا بعضاً ممن شهد بتوبته عن كل ما ذكرناه له.

ب- شهادات المحققين بوقوف الرازي على حقيقة التوحيد، وبخاصة ما تعلق منه بتوحيد الأسماء والصفات:

لقد تراجع الفخر الرازي بفضل الله - ضمن كثيرين من أئمة الخلف - عن نهج المتكلمة وتقديم الرأي وما نتج عنهما.. وعن تصوير حاله وما آل إليه أمره:

١- يقول ابن خلِّكان في كتابه (وفيات الأعيان) ٢٥٢/٤: "وذكَر فخر الدين في كتابه الذي أسماه (تحصيل الحق)، أنه اشتغل في علم الأصول.. ثم رجع عن مذهبه، ونَصَرَ مذهب أهل السنة والجماعة.. ورأيت له وصية أملاها في مرض موته على أحد تلامذته تدل على حسن العقيدة".

٢- ويقول الحافظ الذهبي في (الميزان) ٣٤٠/٣: إن الرازي "رأسٌ في الذكاء والعقليات، لكنه عُرِيّ من الآثار، وله تشكيكات على مسائل من دعائم الدين تورث حيرة.. فلعله تاب من تآليفه إن شاء الله تعالى".

٣- وفي شهادته بإعلان توبته، يقول الذهبي في (السِّيَر) ٥٠١/٢١: "وقد بدت منه في تواليفه بلايا وعظائم وانحرافات عن السنة، والله يعفو عنه، فإنه توفي على طريقة حميدة والله يتولى السرائر".

٤- وقد نقل عبارةَ الذهبي كالمؤيد لها، الحافظ ابن حجر في (اللسان)، إلى أن قال ٤٢٩/٤: "وقد مات الفخر يوم الإثنين سنة ست وستمائة بمدينة هراة.. وأوصى بوصية تدل على حسن اعتقاده".. وقال ٤٢٧/٤: "وكان مع تبحره في الأصول يقول: (من التزم دين العجائز فهو الفائز)"، يعني لكونه الذي على الفطرة والخالي من التكلف والتعمق الذي قصد إليه المتكلمة.. ذلك "أن المتكلمة: ما قنعوا بما قنعت به الشرائع، وطلبوا الحقائق، وليس في قوة العقل إدراك ما عند الله من الحكمة التي انفرد بها، ولا أخْرَج الباري من علمه لخلقه، ما عَلمه هو من حقائق الأمور.. فلما انتهوا إلى غاية التدقيق في النظر.. لم يشهدوا ما يشفي العقل من التعليلات، فوقعوا في مراسم الشرع وجنحوا عن القول بالتعليل، وأذعن العقل بأن فوقه حكمة إلهية فسلّم" كذا ذكره ابن الجوزي في (تلبيس إبليس) ص ٩٢ نقلاً عن ابن عقيل.

٥- كما نقل الذهبي في (السِّير)، ما ذكره الرازي في كتابه (أقسام اللذات) الذي صنفه في نهاية حياته وأعلن فيه توبته، قائلاً:

نهاية إقدام العقول عقال
وأكثر سعي العالمين ضلالُ
وأرواحنا في وحشة من جسومنا
وغاية دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا
سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
فكم قد رأينا من رجال ودولة
فبادوا جميعاً مسرعين وزالوا
وكم من جبالٍ قد علت شرفاتها
رجالٌ فزالوا والجبالُ جبالُ

ومراده: أن إقدام العقول وخوضها فيما لم تُخلق له، نهايته ضلال وغايته لا خير فيه، وقد توجد الوحشة والجفوة بين الروح والجسد، فمن مشى متبعاً للشرع، وجعل قلبه وروحه متفقاً معه، اتفق قلبه وجسمه، وانتفت الوحشة بينهما.. أما من اختار لقلبه طريقاً غير طريق الاتباع، فهنا تحصل الوحشة، وهذا عام في جميع الخلائق!، وما انتحار من هم في غاية النعيم الجسدي من الأموال والملذات الدنيوية، إلا لوجود الوحشة والتنافر بين القلب وهذه الحياة، فهو لا يأنس ولا يطمئن لهذه الحياة؛ لأنه لا راحة ولا طمأنينة

إلا بالإيمان بالله واتباع أمره، وكفى بهذا – للإنسان إذا تأمله وكذا الشعوب إن هي تخلت عن طريق ربها – عبرة وعظة.. وأما قول الرازي:

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا
سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

فذا، علمُ الكلام: ليس فيه سوى (قيل وقالوا)، (فإن قيل: قلنا) (وإن قلتَ: قلتُ)؛ وليس شيء منه يصدر عن يقين ولا عن اعتقاد جازم، ولا هو بالعلم النافع المثمر.. والمشكلة أنهم يقولون هذا الكلام الصريح الجلي ويأتي تلاميذهم فينسَونه ويأخذون بما في كتبهم، فقد رجع من قبل الرازي عن مثل هذا: الجويني في كتابه (النصيحة)، وراح تلميذه أبو حامد الغزالي يسلك نفس المناهج.. وعندما جَاءَ الرازي من بعدهما لم يقل: (نبدأ من حيث انتهيا)، بل اشتغل طول عمره في علم الكلام، وفي آخر المطاف وعند الموت إذا به ينشد هذا النظم، ويقول: "أقرب الطريق طريقة القرآن".. ومع ما جاء في الأثر من أن: (العاقل من وعظ بغيره) إلا أن مَن على شاكلة مَن ذكرنا إلى يومنا هذا، لا يتعظون بغيرهم، فقد أتى (الإيجي) الذي هو حجة عصره في علم الكلام، فترك كلام الرازي الذي مات عليه وأخذ ينقل في كتابه (المواقف) كلام الرازي الذي رجع عنه..

وهكذا نجد الخطأ يتكرر في صروح العلم بالأزهر وغيره ولا أحد يستوعب ما سبقه من تجارب، وإن هذا – أعني: البدء بما بدأ به الآخرون وعدم الأخذ بآخر ما وصلوا إليه، والسير في طريق الباطل بعد أن رجع عنه أصحابه، وعُرف وجه بطلانه، واعترف مرتكبوه بمدى خطئه – لمن أعجب العجب!.

وقد نقل هذه الأبيات عن الرازي من غير الذهبي: ابن تيمية في (مجموع الفتاوى) ٧٢/٤، ١٠/٥ أو (الحموية) ص ٧ و(درء تعارض النقل والعقل) ١٦٠/١، ومحمد بن عبد الهادي المقدسي في (كتاب الانتصار) ص ١٣٨، وابن القيم في (الصواعق) ص ٩، والسبكي في (طبقات الشافعية) ٩٦/٨، وابن كثير في (البداية والنهاية) ٥٦/١٣ و(طبقات الشافعية) ٧١٨/٢، وابن أبي العز في شرحه على الطحاوية ص ١٤٧، وابن الوزير في (الروض الباسم) ١٤/٢، والحافظ ابن حجر في (فتح الباري) ٣٥٠/١٣، وابن العماد في (الشذرات) ٢٢/٥، والشنقيطي في (أضواء البيان) ٣١٩/٧ و(الإقليد) ص ٧٧، وغيرهم كابن أبي أصيبعة في (عيون الأنبا) ٢٦/٢: ٢٨ ود. مصطفى حلمي في كتابه (قواعد المنهج السلفي) ص ٢٢٣ ود. عبد المحسن العباد في شرحه مقدمة ابن أبي زيد القيرواني ص ٣٥.

٦- هذا، ومما دَل به الرازي على أوبته، قوله في نفس المصادر تقريباً – ويضاف إليها (مجموع الفتاوى) ٥٦٢/٥ و(السير) ٥٠١/٢١ و(طبقات الشافعية) لابن قاضي شهبة ٣٨١/١، ٣٨٢ و(شرح السفارينية) ص ١١٥ و(شرح الواسطية) ص ٥٧، وغيرها كثير –: "لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تَشفي عليلاً ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات: (الرحمن على العرش استوى.. طه/٥)، (إليه يصعد الكلم الطيب.. فاطر/١٠)، وأقرأ في النفي – يعني المجمل –: (ليس كمثله شيء.. الشورى/١١)، (ولا يحيطون به علماً.. طه/١١٠)، (هل تعلم له سمياً.. مريم/٦٥).. ثم قال: (ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي)".

٧- والعبارة ذاتها ذكرها المرتضى الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين) ١٧٤/١- ١٧٥، ثم أتبعها بما نقله عن بعضهم من قول الرازي: "(أفنيت عمري في الكلام أطلب الدليل، فإذا أنا لا أزداد إلا بعداً عنه، فرجعت إلى القرآن أتدبره وأتفكر فيه، وإذا أنا بالدليل حقاً معي وأنا لا أشعر به، فقلت: والله ما مثلي إلا كما قال القائل:

ومن العجائب والعجائبُ جمةٌ
قربُ الحبيب وما إليه وصول
كالعيس في البيداء يقتلها الظما
والماء فوق ظهورها محمول

والمقصود أن القرآن مملوء بالاحتجاج، وفيه جميع أنواع الأدلة والأقيسة الصحيحة.. ومناظراته صلى الله عليه وسلم وأصحابه لخصومهم، لا ينكرها إلا جاهل مُفرِط في الجهل"أ.هـ

٨- وهي في (طبقات الشافعية) للسبكي ٩١/٨، ٩٢ و(الروض الباسم) لابن الوزير ١٣/٢ و(القائد إلى تصحيح العقائد) للمعلمي اليماني

ص ٧٤، بلفظ: "لقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتُها في القرآن، لأنه يسعى في تسليم العظمة والجلال لله، ويمنع عن التعمق في إيراد المعارضات والمناقضات، وما ذاك إلا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى في تلك المضايق العميقة والمناهج الخفية".

٩- وهي كذلك في طبقات السبكي ٨/٩٠، ٩٢، بلفظ: "ديني: متابعة الرسول، وكتابي: القرآنُ العظيمُ، وتعويلي في طلب الدين: عليهما، اللهم يا سامع الأصوات ويا مجيب الدعوات ويا مقيل العثرات، أنا كنت حسنَ الظن بك عظيم الرجاء في رحمتك، وأنت قلت: (أنا عند ظن عبدي بي)، وقلت: (أمن يجيب المضطر إذا دعاه.. النمل/٦٢)، فهب أني ما جئت بشيء، فأنت الغني الكريم، فلا تخيب رجائي ولا ترد دعائي، واجعلني آمنا من عذابك قبل الموت وبعد الموت وعند الموت، وسهل عليَّ سكرات الموت فأنت أرحم الراحمين، وأما الكتب التي صنَّفتُها واستكثرتُ فيها من إيراد السؤالات، فليذكرني من نظر فيها بصالح دعائه على سبيل التفضل والإنعام، وإلا فليحذف القول السيئ، فإني ما أردت إلا تكثير البحث وشحذ الخاطر".. كذا بما يعني أن الرازي قلَّتْ ثقتُه بالعقل الإنساني وأدرك عجزه، فأبدى من ثَمَّ ندمه وأوصى بوصيته المشهورة هذه التي دل فيها على: التعويل على صحيح النقل غير المتعارض - بالطبع - مع صريح العقل، والتبرئة مما أساء فهمه بسبب تعويله على العقل المجرد أو تقديمه إياه على النقل.. وقد جاءت عبارة السبكي تلك ضمن تفاصيل وصية الرازي التي فيها يبدي حسرته على تعاطي علم الكلام عندما كان أشعرياً، في إشارة إلى أن توبته وتراجعه لم يكونا من الاعتزال كما يدعي البعض، وإنما على سلوكه طريق أهل الكلام، وكلام غير السبكي نصٌّ في ذلك.

١٠- كما أورد وصيته: د. علي محمد حسن العماري، وذلك ص ٧٥ في كتابه (الإمام فخر الدين الرازي- حياته وآثاره) وهو من مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ط ١٩٦٩/١٣٨٨.

١١- وفي الكشف عن إبداء ندم الرازي عما بدر منه، يقول ابن كثير في (البداية والنهاية) ١٣/٥٥: "كان مع غزارة علمه في فن الكلام يقول: (من لزم مذهب العجائز كان هو الفائز)، وقد ذكرتُ وصيته عند موته وأنه رجع عن مذهب الكلام فيها إلى طريقة السلف، وتسليم ما ورد على وجه المراد اللائق بجلال الله سبحانه".

١٢- ومما قاله ابن قاضي شهبة في (طبقات الشافعية) ١/٣٨١ عن الفخر الرازي: "إنه ندم على دخوله في علم الكلام".

١٣- وفي (شذرات الذهب) ٥/٢١، ما نصه: "قال ابن الصلاح: أخبرني القطب الطوغاني مرتين، أنه سمع فخر الدين الرازي يقول: (يا ليتني لم أشتغل بعلم الكلام)، وبكى".

١٤- وفي (الإقليد) للشنقيطي ص ٧٦: "واعلم أن الفخر الرازي الذي كان في زمانه أعظم أئمة التأويل، رجع عن ذلك المذهب إلى مذهب السلف، معترفاً بأن طريق الحق هي اتباع القرآن في صفات الله".

١٥- ومما قاله د. مصطفى حلمي في كتابه (قواعد المنهج السلفي) ص ٢٢٢ بحق الرازي: "أما الرازي - وهو المعبر عن المذهب الأشعري في مرحلته الأخيرة حيث خلط الكلام بالفلسفة - فقد نبه في أواخر عمره إلى ضرورة اتباع منهج السلف، وأعلن أنه أسلم المناهج بعد أن دار دورته في طرق علم الكلام والفلسفة". وبذا يكون الرازي قد أدرك في نهاية حياته مدى عجز العقل عن إدراك حقيقة ما يجب اعتقاده تجاه صفات الخالق سبحانه، وأوصى وصيته التي تنم عن صدق توجهه، منبهاً في أواخر عمره إلى ضرورة اتباع منهج السلف البعيد كل البعد عن التأويل أو التفويض، ومعلناً أنه أسلم المناهج وأصحها. فهل يتأتى لآحاد الناس - بعد تقارير أهل العلم المتضافرة عن الإمام الرازي، وبعد هذه النصوص الواردة على ألسنتهم بل وعلى لسانه هو - أن ينكر تراجعه وندمه على ما فاته من صحيح المعتقد؟، أو يظل هذا الآحاد مُصراً على الاقتداء به في أصل الدين، متجاهلاً عن عمد وصاياه ناشراً أفكاره وكتبه التي برئ منها وندم على تضييع وقته في وضعها؟!.. اللهم إن هذا لا يرضيك ولا يرضيه.. والى لقاء آخر نستكمل الحديث بمشيئته تعالى.. والحمد لله رب العالمين.

الوقاية خير من العلاج

إعداد/ عبده الأقرع

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على من لا نبي بعده سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم. أما بعدُ:

فلقد حرم الله تعالى الاقتراب من الفواحش التي توصل للزنا، فإنَّ الزّنا عارٌ كبير، يهدمُ البيوتَ الرفيعة، ويُطأطئ الرؤوس العالية، ويسوِّدُ الوجوه البيض، ويصبغُ بأسودَ من القار أنصع العمائم بياضًا ويخرسُ الألسنة البليغة، ويهوي بأطول الناس أعناقًا وأسماهم مقامًا، وأعرقهم قدرًا إلى هاوية من الذل والازدراء والحقارة ليس لها من قرار. فضلاً عن أنَّ الزنا إذا شاع في قوم جلب لهم سخط الله وغضبه وعقابه، وكان سببًا في انتشار الأسقام والأوجاع التي لم تكن فيمن قبلهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا ظهر الزنا والربا في قوم فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله». (صحيح الترغيب: ٦٩٢).

وقال صلى الله عليه وسلم: «يا معشر المهاجرين: خمسٌ إذا ابتُليتم بهن، وأعوذ بالله أن تُدركوهنَّ: لم تظهر الفاحشة في قوم قط، حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضتْ في أسلافهم الذين مضوا». (صحيح الجامع: ٧٩٧٨).

كما أخبر صلى الله عليه وسلم إن ظهور الزنا من أمارات خراب العالم، وهو من أشراط الساعة. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لأحدثنكم حديثًا لا يُحدثكم أحد بعدي، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من أشراط الساعة أن يقل العلم، ويظهر الجهل، ويظهر الزنا، ويقل الرجال، وتكثر النساء، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد». (البخاري: ٥٢٣١، ومسلم ٢٦٧١).

ولما كانت مفسدة الزنا من أعظم المفاسد، كانت عقوبته في الدنيا أقسى العقوبات، قال الله تعالى: «ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ» (النور:٢)، وأما في الآخرة مضاعفة العذاب.

قال الله تعالى: «وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا» (الفرقان:٦٨، ٦٩)، أما إذا كان سبق له زواج وزنى فعقوبته أشدّ فهو حلال الدم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة». (البخاري ٦٤٨٤، ومسلم ١٦٧٦).

إنَّ جريمة تؤدي إلى القتل لجريمة بالغة تعبر عن كون مرتكبها غير صالح للبقاء في المجتمع فهو جرثومة فاسدة

يجب القضاء عليها حتى لا تفسد المجتمع كله.

ومن صور عذاب الزناة ما جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم وفيه: «فانطلقنا فأتينا على مثل التنُّور فاطلعنا فيه، فإذا فيه رجالٌ ونساءٌ عُراة، وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم فإذا أتاهم ذلك اللهبُ ضَوْضَوْا. فقلت لهما: من هؤلاء؟ فقال: هم الزناة والزواني». (البخاري: ١٣٨٦).

معنى: ضَوْضَوْا: أي: صاحوا. والتنور: الفرن.

بالإضافة إلى هذه العقوبات فإن الزنا فيه مفاسد عظيمة يفسد القلب والفكر، ويوجب الذل والعار، ويضيع النسك، ويخلط الأنساب، وينشر الأمراض التناسلية فهو فساد في الدين والدنيا والفرد والمجتمع، ويوجب الفقر، ويكسو صاحبه سوادُ الوجه وثوبُ المقت بين الناس، فلعظم هذه الجريمة وخطرها على الفرد والمجتمع، بل على الأمة كلها. حذر الله تعالى من قربها. قال الله تعالى: « وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا » (الإسراء:٣٢)، والقول الكريم: «وَلَا تَقْرَبُوا» آكد- لا شك- وأبلغ في الدلالة من «ولا تزنوا» لما يحمل من تحذير حاسم من الاقتران من منطقة هي في الأمور الحسية منطقة خطر مواد مشتعلة «ممنوع الاقتراب». وقد عالج الدِّين هذه الجريمة المنكرة بالعلاج الناجع وقاية من الوقوع فيه فقطع كل سبب يوصل إليه وسد كل نافذة تطلب عليه.

فأمر الله تعالى بغض البصر، قال تعالى: «قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ » (النور: ٣٠- ٣١).

وفي تقديم الأمر بغضِ البصر على الأمر بحفظ الفروج إشارةٌ إلى أنَّ غِضّ البصر من أسباب حفظ الفروج، وعدم الغضّ من أسباب عدم حفظ الفروج. وقد بالغ رسول الله صلى الله عليه وسلم في التحذير من النظرة حتى عدها من الزنى.

وحرّم على المرأة أن تسافر وحدها من غير محرم يحرسها ويحميها ويغار عليها ويدافع عنها، وكان ذلك العمل علامة الإيمان الكامل واليقين الصادق. وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يحل لامرأة أن تسافر إلا ومعها ذو محرم منها». (صحيح الجامع: ٧٦٤٦). كذلك حرّم على الرجال خلوتهم بالنساء وحرّم على النساء خلوتهن بالرجال. عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم». (البخاري: ٥٢٢٣، ومسلم: ١٣٤١).

وكذلك حرَّم دخول الرجال على النساء الأجنبيات. عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إياكم والدخول على النساء». فقال رجلٌ من الأنصار: أفرأيت الحمو؟ قال: «الحموُ الموتُ». (البخاري: ٥٢٣٢، ومسلم: ٢١٧٢). كذلك حرَّم التبرج.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات رؤوسهنَّ كأسنمة البخت المائلة لا يدخلنَّ الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا». (مسلم: ٢١٢٨).

كذلك حرّم على المرأة أن تتعطر وتمر على الرجال الأجانب.

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كل عين زانية، والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا». يعني: زانية. (البخاري: ٤/٧٢/١٨٦٢، ومسلم: ٩٧٨/١٣٤١).

وكذلك أوجب الاستئذان عند دخول البيت حفظًا للحرمات ومنعًا من الاطلاع على العورات، قال الله تعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ » (النور: ٢٧- ٢٨).

وحذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من مصافحة المرأة الأجنبية. عن معقل بن يسار رضي الله عنه أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «لأن يُطعن في رأس أحدكم بمخيطٍ من حديد خيرٌ له من أن يمس امرأة لا تحل له». (صحيح الجامع: ٥٠٤٥).

بهذا المنهج الذي رسمناه على عجل، نستطيع أن نضيِّق منافذ هذه الجريمة، ونقضي على هذا الداء، ويعيش الناس حياة الطهر والنقاء. فقد قيل الوقاية خير من العلاج.

والله وحده الهادي إلى سواء السبيل.

العمل بالقول الراجح والنهي عن الترخص المذموم

الحلقة الأولى

إعداد/ المستشار أحمد السيد علي
نائب رئيس هيئة قضايا الدولة

الحمد لله حمدا لا ينفد أفضل ما ينبغي أن يحمد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تعبد.

أما بعد: فإنَّ من أبواب الشرِّ التي فتحها الشيطانُ على العباد: باب تتبُّع رُخَص الفقهاء وزلاَّتهم، فخدعَ بذلك الكثيرين من عامة المسلمين، فانتُهكت المحرَّماتُ وتُركت الواجباتُ تعلُّقاً بقول أو رخصة زائفة، فصارَ هؤلاء يُحكِّمونَ أهواءَهُم في مَسائل الخلاف فيأخذون أهونَ الأقوالِ وأيسَرَها على نفوسهم دون استناد إلى دليلٍ شرعي بل تقليداً لزلَّة عالم لو استَبان له الدليلُ لرجعَ عن قوله بلاَ تَردُّد، فإذا ما أنكر عليهم أحدٌ تعلَّلوا بأنهم لم يأتوا بهذا من عند أنفسهم بل هناك مَن أفتى لهم بجواز ذلك، وليسُوا بمسئولين، فقد قلَّدوهُ والعهدةُ عليه إن أصابَ أو أخطأ، بل إنهَّم يأخذونَ برخصة عالم في مسألة ما، ويهجرون أقوالهُ الثقيلةَ في المسائل الأخرى، فيعمدون إلى التلفيق بين المذاهب والترقيع بين الأقوال، ويحسبُون أنهم يحسنون صُنعاً، وأشاع الشيطانُ بين هؤلاء الناس مقولةَ: (ضعها في رقبة عالم واخرج منها سالماً)، فإذا نزلت بأحدهم نازلةٌ ذهب إلى بعض المتساهلين في الإفتاء، فبحث له عن رخصة قال بها رجلٌ فيفتيه بها مع مخالفتها للدليلِ وللحقِّ الذي يعتقده، وما أكثر هؤلاء الناس من الصنفين، عاميٌّ يذهب إلى المتساهلين الذين يفتون بالرخَص ومُفت يُرضي الناسَ ولا يفت بالدليل، وبمشيئة الله سنبين- في هذا البحث - وجوب العمل بالقول الراجح من أقوال الفقهاء، وحرمة الترخص إلا في أمور محددة، لا يجوز تجاوزها.

أولاً: تعريف تتبع الرخص:

ذكر جمع من أهل العلم تعريفات لتتبع الرخص، منها:

١- تعريف الزركشي - رحمه الله - في «البحر المحيط» بأنه: «اختيار المرء من كل مذهب ما هو الأهون عليه» اهـ.

٢- وتعريف الجلال المحلي - رحمه الله - في «شرح المحلي على جمع الجوامع بحاشية البناني» بقوله: «إن يأخذ من كل مذهب ما هو الأهون فيما يقع من المسائل» اهـ.

٣- وحكى الدسوقي رحمه الله في «حاشية الدسوقي على الشرح الكبير» وغيره من المالكية تعريفين:

الأول: «رفع مشقة التكليف باتباع كل سهل».

الثاني: «ما يُنقض به حكمُ الحاكم من مخالف النص وجلي القياس» اهـ.

٤- وتعريف المجمع الفقهي بأنه: «ما جاء من الاجتهادات المذهبية مبيحاً لأمرٍ في مقابلة اجتهادات أخرى تحظره» اهـ.

ثانيا: أقوال العلماء في تتبع الرخص:

بتتبع كتب المذاهب المعتمدة، ومراجعة أقوال أئمة المذاهب يمكن رد أقوالهم إلى ثلاثة أقوال هي:

القول الأول: منع الأخذ بالرخص مطلقاً: وإليه ذهب ابن حزم، والغزالي، والنووي، والسبكي، وابن القيم، والشاطبي، ونقل ابن حزم وابن عبد البر والباجي الإجماع على ذلك.

أدلته:

١- قال تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا » (النساء: ٥٩).

وجه الدلالة: أن الله سبحانه وتعالى أمر بالرد إليه وإلى رسوله، واختيار المقلّد بالهوى والتشهي مضاد لذلك. إذ أن موضوع الخلاف موضوع تنازع، فلا يصح أن يرد إلى أهواء النفوس، وإنما يرد إلى الشريعة.

٢- قال تعالى: « ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ » (الجاثية: ١٨).

قال الإمام السعدي رحمه الله تعالى في «تفسيره»: «أي: ثم شرعنا لك شريعة كاملة تدعو إلى كل خير وتنهى عن كل شر من أمرنا الشرعي «فَاتَّبِعْهَا» فإن في اتباعها السعادة الأبدية والصلاح والفلاح، «وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» أي: الذين تكون أهويتهم غير تابعة للعلم ولا ماشية خلفه، وهم كل من خالف شريعة الرسول صلى الله عليه وسلم هواه وإرادته فإنه من أهواء الذين لا يعلمون.

وجه الدلالة: أن تتبع الرخص ميل مع أهواء النفس، والشرع جاء بالنهي عن اتباع الهوى.

٣- قال الشاطبى رحمه الله في «الموافقات»: «إن القول بالتخير عند اختلاف الأقوال يؤدي إلى الانسلاخ من الدين بترك اتباع الدليل إلى اتباع الخلاف، والاستهانة بالدين إذ يصير بهذا الاعتبار سيالاً لا ينضبط، وهو مؤد إلى إسقاط التكليف في كل مسألة مختلف فيها، فإن معنى القول بالتخيير أن للمكلف أن يفعل متى شاء ويترك متى شاء وهذا إسقاط للتكليف، بخلاف اتباع الأرجح والتقيد به فإن فيه اتباع للدليل فلا يكون متبعا للهوى ولا مسقطا للتكليف» اهـ.

ثم إنه لا يوجد محرَم إلا وهناك من قال بإباحته إلا ما ندر من المسائل المجمع عليها، وهي نادرة جداً.

٤- كلام الأئمة في التحذير من تتبع الرخص: قال الإمام أحمد: لو أن رجلاً عمل بقول أهل الكوفة في النبيذ وأهل المدينة في السماع وأهل مكة في المتعة كان فاسقاً. وقال الأوزاعيُّ: مَنْ أَخَذَ بِنَوَادِرِ الْعُلَمَاءِ خَرَجَ مِنَ الإِسْلَامِ.

وَقَالَ إِسْمَاعِيلَ الْقَاضِيَ: دَخَلْتُ عَلَى الْمُعْتَضِد فَدَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا نَظَرْتُ فيه، وَقَدْ جَمَعَ فِيهِ الرُّخَصَ مِن زَلَلِ الْعُلَمَاءِ وَمَا احْتَجَّ بِهِ كُلٌ مِنهُمْ، فَقُلْتُ: مُصَنِّفُ هَذا زِنْدِيقٌ، فَقَالَ: لَمْ تَصِحَّ هَذِهِ الأَحَادِيثُ؟ قُلْتُ: الأَحَادِيثُ عَلَى مَا رَوَيْتَ وَلَكِنْ مَنْ أَبَاحَ الْمُسْكِرَ لَمْ يُبِحْ الْمُتْعَةَ، وَمَنْ أَبَاحَ الْمُتْعَةَ لَمْ يُبِحْ الْمُسْكِرَ، وَمَا مِن عَالِمٍ إِلاَّ وَلَهُ زَلَّةٌ، وَمَنْ جَمَعَ زَلَلَ الْعُلَمَاءِ ثُمَّ أَخَذَ بِهَا ذَهَبَ دِينُهُ، فَأَمَرَ

الْمُعْتَضِدُ بِإِحْرَاقِ ذَلِكَ الْكِتَابِ.

والنقول في هذا الباب كثيرة جداً لا تكاد تحصى، والعلماء متفقون على مضمونها وإن اختلفت عباراتهم، وعلة ذلك عندهم أنه ما من عالم إلا وله زلةٌ في مسألة لم يبلغه فيها الدليل، أو أخطأ فهمه فيها الصواب. فمن تبعَ ذلك وأخذ به تملَّص من التكاليف الشرعية، وزاغ عن جادة الحق وهو لا يدري.

القول الثاني: جواز الأخذ بالرخص مطلقًا: وقال به من الحنفية السرخسي وابن الهمام وابن عبد الشكور وأمير باد شاه.

أدلته:

١- الأدلة الدالة على يسر الشريعة وسماحتها، كقوله تعالى: «يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ» (البقرة: ١٨٥).

وقوله: (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) (الحج: ٧٨).

قول عائشة- رضي الله عنها-: «ما خُيِّر النبي بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً» (متفق عليه)، وغير ذلك من النصوص الواردة في التوسعة، والشريعة لم تَرد لمقصد إلزام العباد المشاق، بل بتحصيل المَصالح الخاصة، أو الراجحة وإن شقَّت عليهم.

الرد عليه: بأن السماح واليسر في الشريعة مقيَّد بما هو جارٍ على أصولها، وليس تتبع الرخص ولا اختيار الأقوال بالتشهي بثابت من أصولها، بل هو مما نُهي عنه في الشريعة، لأنه ميلٌ مع أهواء النفوس، والشرع قد نهى عن اتباع الهوى.

٢- قال ابن الهمام: «ويتخرَّج منه (أي: من جواز اتباع غير مقلده الأول وعدم التضييق عليه) جوازُ اتِّباع رخص المذاهب، أي: أخذه من المذاهب ما هو الأهون عليه فيما يقع من المسائل، ولا يمنع منه مانعٌ شرعي، إذ للإنسان أن يسلك المسلك الأخفَّ عليه إذا كان له إليه سبيل». اهـ.

الرد عليه: بعدم التسليم؛ لأن تتبع الرخص عملٌ بالهوى والتشهّي، وقد نهي عنه.

٣- أنه يلزم من عدم الجواز استفتاء مفتٍ بعينه، وهذا باطل.

الرد عليه: بأن اللازم باطل، بل هو مأمور بتقليد من يثق بدينه وورعه دون الاختيار المبني على الهوى.

٤- أن الخلاف رحمة، لقوله صلى الله عليه وسلم: «اختلافُ أمَّتي رحمةٌ»؛ فمن أخذ بأحد الأقوال فهو في رحمة وسعة.

الرد عليه:

أ- من ناحية السند: فالحديث لا يصح، قال عنه أهل الحديث: «باطل لا أصل له».

ب- من ناحية المتن: بأن الخلاف ليس في ذاته رحمة بل هو شر وفرقة، ولكن مراد من أطلق الخلاف رحمة: أن فتح باب الخلاف والنظر والاجتهاد رحمة بالأمة بحيث يكون التكليف مربوطاً بما يراه المجتهد بعد النظر في الأدلة.

القول الثالث: جواز الأخذ بالرخص بشروط:

وقد اختلف المشترطون:

١- فقيَّد العز بن عبد السلام في «قواعد الأحكام» الجواز بألا يترتب عليه ما يُنقَض به حكم الحاكم؛ وهو ما خالف النص الذي لا يحتمل التأويل، أو الإجماع، أو القواعد الكلية، أو القياس الجلي.

٢- وتبعه القرافي في «نفائس الأصول» وزاد: شرط ألاَّ يجمع بين المذاهب على وجهٍ يخرق به الإجماع.

٣- وزاد العطار في «حاشيته» على شرط القرافي شرطين، هما:

أ- أن يكون التتبع في المسائل المدونة للمجتهدين الذين استقرّ الإجماع عليهم، دون من انقرضت مذاهبهم.

ب- ألا يترك العزائم رأساً بحيث يخرج عن ربقة التكليف الذي هو إلزام ما فيه كلفة.

وللحديث بقية إن شاء الله، ونسأل الله الهداية والتوفيق.

فتاوى

التشاؤم بالأرقام وغيرها

السؤال: من السيد/ع أ أ قال: أولاً- هل يجوز للإنسان أن يصدق أو يعتقد أو يتشاءم أو يتوهم أن يصيبه مرض أو موت أو غيره من الأعداء، أو من السنين أو من الشهور أو من الأيام أو من الأوقات، أو من دخول بيت أو من لبس ثوب أو من غيره أم لا؟

الجواب عن السؤال: كان التطير والتشاؤم في الجاهلية فجاء الإسلام يرفع ذلك.

ففي الحديث (لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر) وفيه (لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل الحسن)، وفيه أيضًا (من تكهن أو رده عن سفر طير فليس منا)، ونحو ذلك من الأحاديث.

وذلك إذا اعتقد أن شيئًا مما تشاءم منه من عدد أو وقت أو طير أو غيره موجب لما ظنه ولم يضف التدبير إلى الله سبحانه وتعالى، فأما إذا علم أن الله هو المدبر ولكنه أشفق من الشرِّ، لأن التجارب قضت بأن يوما من الأيام أو وقتا من الأوقات يرد فيه مكروه، فإن وطن نفسه على ذلك أساء، وإن سأل الله الخير واستعاذ به من الشر ومضى متوكلاً ولم يتشاءم لم يضره ما وجد في نفسه من ذلك وإلا فيؤاخذ به، لأن التشاؤم سوء ظن بالله سبحانه وتعالى بغير سبب محقق- وربما وقع به ذلك المكروه الذي اعتقده بعينه عقوبة له على اعتقاده الفاسد، ولا تنافي بين ما ذكر وبين ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشؤم في المرأة والدار والفرس وفى رواية عنه أيضًا قال ذكروا الشؤم عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن كان الشؤم في شيء ففي الدار والمرأة والفرس»، لأن الرسول صلوات الله وسلامه عليه يشير بهذا إلى تخصيص الشؤم بمن تحصل منه العداوة والفتنة، لا كما يفهم بعض الناس من التشاؤم بهذه الأشياء، أو أن لها تأثيرًا وهى ما لا يقول به أحد من العلماء، ويؤيد هذا ما رواه الطبراني: "إن من شقاء المرء في الدنيا سوء الدار والمرأة والدابة"، سوء الدار ضيق ساحتها وخبث جيرانها.

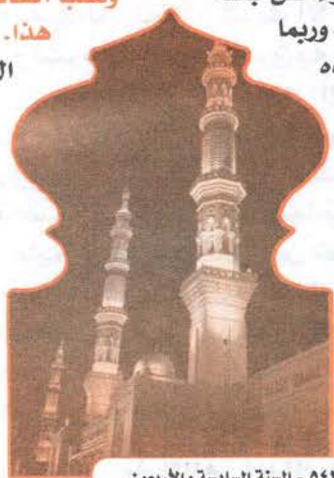
وسوء الدابة منعها ظهرها وسوء طبعها، وسوء المرأة عقم رحمها سوء خلقها.

ومما سبق بيانه يعلم أن التشاؤم بالأرقام والأيام وغيرها منهي عنه شرعًا، لأن الأمور تجرى بأسبابها وبقدرة الله ولا ارتباط لهذه الأشياء بخير يناله الإنسان أو شر يصيبه. (المفتي: حسن مأمون)

حكم أكل لحم الخيل والحمر الأهلية

السؤال: بالطلب المتضمن أنه قد نشأ بين السائل وأحد زملائه حوار حول ظاهرة دينية، تتلخص في هذا السؤال هل أكل لحم الخيل والحمير حلال أو حرام.

وطلب السائل الإفادة عن الحكم الشرعي في هذا.



الجواب: يحل أكل لحم الخيل مع الكراهة التنزيهية عند الإمام أبي حنيفة في ظاهر الرواية وهو الراجح عند الحنفية.

وقال الصاحبان أبو يوسف ومحمد بإباحة لحم الخيل.

وكذلك قال الشافعية والحنابلة ورواية عن المالكية، كما قال بعض المالكية بالكراهة بعضهم بالحرمة.

فعن جابر بن عبدالله رضي الله

عنهما قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية، وأذن في لحوم الخيل".

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: "نحرنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسًا فأكلناه ونحن في المدينة". متفق عليهما.

أما الحمار الأهلي فغير مأكول اللحم عند الحنفية والشافعية والحنابلة، وللمالكية قولان.

أحدهما أنه لا يؤكل وهو الراجح عندهم، والثاني أنه يؤكل مع الكراهة.

فعن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر مناديًا فنادى "إن الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر الأهلية فإنها رجس. فأكفئت القدور وهي تفور باللحم". أخرجه البخاري، ومما ذكر يعلم الجواب عما جاء بالسؤال.

(المفتي الشيخ: أحمد هريدي).

التبرع بالحضانة

لا يكون إلا عند إعسار الأب

السؤال: إذا كان الرجل فقيرًا وله بنت ماتت أمها. فلمن تكون حضانتها. هل تكون لجدتها لأمها أم تكون إلى أمه وأخته اللتين تبرعتا بحضانتها؟

الجواب: حضانة هذه الصغيرة تنتقل بموت أمها إلى جدتها أم أمها وإن علت، فإن كانت أم هذه الأم قد تزوجت بغير محرم للصغيرة ولا أم لها انتقلت تلك الحضانة لأم الأب المذكورة.

أما إذا كانت تزوجت بمحرم للصغيرة وكان الأب معسرًا، وطلبت منه أجرة الحضانة وأمه متبرعة بذلك، فيقال لها: إما أن تحضنيها مجانًا، أو تدفعيها لأم الأب المتبرعة بحضانتها. والله أعلم.

(المفتي الشيخ: محمد عبده).

شركة المضاربة

السؤال: كثر اشتراك بعض الناس بماله مع بعضهم الآخر، والشركة بينهما مضاربة، إلا أن أحدهما يعمل والآخر لا يعمل، فهل يجوز تعيين راتب شهري للشريك الذي يعمل في نظير عمله؟ هذا ما آمل الإجابة عليه مع الدليل الذي استند عليه في ذلك، والله يجزيكم خيرا.

ج: شركة المضاربة هي: دفع مال معلوم من شخص لمتجر به، بجزء مشاع معلوم من ربحه، كالربع ونحوه، فالمال من واحد، والعمل على الثاني، وجزء الربح المحدد له مقابل العمل، وإذا لم يحدد للعامل ربح معلوم فله أجرة المثل مقابل عمله، ويكون الربح كله لصاحب المال.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

(السؤال الأول من الفتوى رقم: ٧٣٣٧).

العمل أو الإجارة في المؤسسة التي تعمل أو تبيع المحرم

السؤال: ما حكم المسلم المستخدم في مصانع لا يصنع فيها إلا عصير الخمر والمسكرات؟

ج: الخمر وسائر المسكرات محرمة، وتأسيس المصانع لها والخدمة فيها كل ذلك حرام؛ لما روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله-صلى الله عليه وسلم- يقول: « أتاني جبريل عليه السلام فقال: يا محمد إن الله عز وجل لعن الخمر وعاصرها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وبائعها ومبتاعها وساقيها» (أورده الهيثمي في (مجمع الزوائد، وقال: رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات، ورواه أبو داود والحاكم وفيه زيادة: "ومعتصرها").

فهذا الشخص المستخدم في المصانع التي تصنع فيها الخمور، لا يجوز له البقاء فيها؛ لهذا الحديث الذي سبق، وهو دال على أنه ملعون، ولأنه من التعاون على الإثم والعدوان، وقد قال تعالى: «وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ» (المائدة: ٢).

أما ما مضى من الاستخدام وهو يجهل الحكم فهو معذور في ذلك؛ لعموم قوله تعالى: «وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا» (الإسراء: ١٥).



والرسول ينزل عليه الوحي من الله، ويبلغه الأمة، فالعبد لا يكون مكلفا إلا بعد أن يبلغه ما كلف به. وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

(السؤال الثالث من الفتوى رقم: ٤٤٣).



المسلمون في فرنسا

الحمد لله، نحمده حمد الشاكرين، وبعدُ:

من خلال تلك الأسطر المقتضبة نجول ونصول في أحوال المسلمين في دول العالم، ونحن ما زلنا في القارة الأوروبية، وحول فرنسا والمسلمين فيها، وانتشار الدين الإسلامي في فرنسا، وما يلاقيه المسلمون هناك من عنصرية واضحة، ومع ذلك فالمتابع لأخبار الذين يعتنقون الدين الإسلامي الحنيف من شعوب العالم، وكيف انتشر الإسلام رغم العداء الواضح، والتشويه الكبير للإسلام والمسلمين، ينسبون للإسلام ظلمًا وعدوانًا فئة قليلة استباحت الدماء والأعراض والأموال ناسبة نفسها إلى الإسلام، والإسلام منها براء، وإنا لله وإنا إليه راجعون!!

إعداد/ جمال سعد حاتم
رئيس التحرير

المسلمون في فرنسا بين الانفراجة.. والتضييق

وحول فرنسا التي هي إحدى الدول الأوروبية وعاصمتها باريس، وهي واحدة من الدول التي لها سواحل أطلسية، وأخرى متوسطية، والديانة الرئيسة والرسمية فيها هي المسيحية التي يعتنقها أغلب سكان فرنسا، ويعتبر الإسلام هو الديانة الثانية فيها، وقد كانت فرنسا دولة لا دينية منذ عام ١٩٠٥م، فهي لا تعترف بالأديان، كما أنها لا تعاديها، فهي جمهورية علمانية.

وأما عن دخول الإسلام إلى فرنسا فقد بدأ في مرحلته الأولى مع الفتوحات الإسلامية للأراضي الفرنسية في عام ٩٦هـ؛ حيث أرسل طارق بن زياد حملة استكشافية إلى برشلونة وأربونة، ووصلت إلى بلدة أبنيون على نهر الوادعة، ثم اتجهت إلى مدينة ليون، ثم عادت إلى الأندلس، وفي عام ١١٤هـ قاد عبد الرحمن الغافقي حملة متجهًا بها إلى جبال البرانس إلى مدينة برديل، حيث هزم جيش الفرنجة، ثم اتجاه إلى بواتيه، وهزم المسلمون في معركة بلاط الشهداء.

وفي القرن الثالث الهجري استطاع الأندلسيون السيطرة على نيس، فاستوطنوا الشواطئ الجنوبية من فرنسا، حيث قامت دولة أندلسية هناك، وظل الحكم الإسلامي فيها مائة وأربعة وعشرين عاماً.

وتواصل الفرنسيون بالمشرق العربي والإسلامي أثناء الحروب الصليبية، حيث ظهر مجال آخر للاتصال بالمسلمين، وهكذا كانت المرحلة الأولى.

وفي المرحلة الثانية في مطلع القرن الرابع عشر الهجري، ومع نهاية الحرب العالمية الأولى؛ هاجر عدد من المسلمين إلى فرنسا من الشمال الإفريقي، وتزايدت أعداد المسلمين في فرنسا بسبب حاجتها إلى الأيدي العاملة، وكذلك استقلال الجزائر آنذاك وهجرة حوالي ثلاثمائة ألف مسلم إليها.

وينتشر المسلمون في فرنسا في شتى أنحاء المدن الفرنسية، وخاصة في الريف الفرنسي؛ حيث التواجد الإسلامي الملحوظ، ويعيش في باريس وضواحيها أكثر من مليون ونصف المليون مسلم، وفي مدينة مرسيليا وليون يعيش أكثر من ١٥٠

ألف مسلم، وتنتشر الجالية المسلمة في الجنوب الفرنسي بكثرة.

والمسلمون في فرنسا يعيشون بين انفراجة الحرية لممارسة شعائر دينهم التي يمنحها الدستور الفرنسي وما بين العنصرية التي تظهر على السطح بين الحين والآخر، وخاصة عقب وقوع عمليات إرهابية في فرنسا، سرعان ما تطلق الاتهامات للمسلمين رغم الإدانة الصريحة لتلك العمليات الإرهابية من كل بقاع العالم الإسلامي.

تعداد المسلمين في فرنسا

أغلب التقديرات تشير إلى أن تعداد المسلمين حسب الإحصاءات غير الرسمية يزيد عن ستة ملايين مسلم، في حين تقدرهم وزارة الداخلية الرسمية هناك بـ ٤,٥ مليون مسلم.

وبحسب ما نشره المعهد الوطني للدراسات الديموجرافية (INED)؛ في دراسة نشرها أن أكبر نسبة من مسلمي فرنسا أصولهم من المغرب العربي، ويشكل الجزائريون نسبة ٣٤,٤٪، والمغاربة ٢٧,٥٪، والتونسيون ١١,٤٪، ومن جنوب الصحراء الإفريقية بنسبة ٩,٣٪، والأتراك ١,٠٪، وأخيرًا عدد النصارى الذين تحولوا للإسلام من الفرنسيين إلى سبعين ألف متحوّل للإسلام.

وكل الإحصائيات السابقة تعطي النتائج عددًا يزيد على الستة ملايين مسلم يعيشون في فرنسا، وخاصة أن كثيرًا من المسلمين في فرنسا غير مسجلين بشكل رسمي في المؤسسات الحكومية.

وفرنسا التي تعتبر وطنًا لما يزيد عن ستة ملايين من المسلمين، لديها أكبر مجتمع إسلامي بالاتحاد الأوروبي؛ حيث إن المسلمين الذين يمارسون شعائرهم الدينية يزيدون على الكاثوليك الرومان الممارسين لشعائرهم، وبالرغم من أن ٦٤٪ من الشعب الفرنسي يعرفون هويتهم بأنهم كاثوليك، إلا أن ٤,٥٪ فقط من هؤلاء يمارسون شعائرهم الكاثوليكية، حسب ما جاء في تقرير أصدره «المعهد الفرنسي للرأي العام».

ومن خلال المقارنة فإن ٧٥٪ من المسلمين المقدر عددهم بستة ملايين من عرقيات مختلفة المعلن في فرنسا يعرّفون هويتهم بأنهم «مؤمنون»، كما أن ٤١٪ منهم يقولون: إنهم يمارسون للشعائر طبقًا لتقرير في فرنسا أصدره المعهد الفرنسي للرأي العام في ٢٠١١م.

تعداد المساجد في فرنسا

أما عن المساجد في فرنسا، فإنه في خلال ما يقارب من أربعين عامًا مضت، أصبحت فرنسا من أكثر الدول الأوروبية الغربية التي يوجد بها سكان ذوو أصول إسلامية، وذلك العدد يمكن التعرف عليه من خلال بناء المساجد بكثرة، حيث إنه من خلال مقارنة البيانات الإحصائية عن الكاثوليك والمسلمين تجد أن من الملاحظ الانتشار السريع للإسلام أكثر من الكاثوليكية الفرنسية، ويتوقع بحسب المصادر الفرنسية أن يصل تعداد المسلمين في فرنسا خلال بضعة أعوام، بحلول ٢٠٢٠م إلى ٢٠ مليون مسلم.

وتشير التقديرات إلى أن عدد المساجد في فرنسا قد بلغ ٢٢٠٠ مسجد، وأشارت صحيفة «إيه بي سي» الإسبانية التي تصدر في باريس إلى أن المسلمين في فرنسا يطالبون بزيادة عدد مساجدهم إلى ٤٠٠٠ مسجد. وعلى الجانب الآخر، ووفقًا لجريدة «لاكروا» فإنه في العشر سنوات الماضية، لم تبْنِ الكنيسة الكاثوليكية في جبال الألب سوى عشرينَ كنيسة فقط جديدة، وفي الوقت ذاته فقد أغلق رسميًا أكثر من ستين كنيسة، وكثير من تلك الكنائس أصبح مطلوبًا من المسلمين الآن ليصلوا فيها. ونذكر هنا في هذا المجال قول الله تعالى: «يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» (التوبة:٣٢)، وقوله عز وجل: «يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» (الصف:٨)

وحديث ثوبان رضي الله عنه مرفوعًا: «إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا، أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا». (رواه مسلم: ٢٨٨٩).

فاللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين، والحمد لله رب العالمين.

عزاء واجب

تحتسب جماعة أنصار السنة بالمركز العام ومجلة التوحيد واللجنة العلمية بها الشيخ الوالد يوسف محمد سليمان رئيس فرع أسوان سابقاً والذي وافته المنيه يوم ٢٤ اكتوبر ٢٠١٦ غفر الله له وللمسلمين.

معية الله تبارك وتعالى.. فضلها وسبل تحصيلها

الحمد لله ولي المتقين، ناصر المؤمنين، ومؤيد الصابرين، ومحب المحسنين، والصلاة والسلام على إمام النبيين وبعد.. فالله عز وجل معنا دائمًا من فوق سماواته مطلع على خلقه يسمع ويرى ويعلم كل ما في السموات والأرض، لا يغيب عنه شيءٌ في ملكه سبحانه

- نحن نعيش في موسم الهجرة نتذكر المصطفى صلى الله عليه وسلم وصاحبه الصديق في هذه الرحلة الشاقة كما صورها الرحمن في القرآن: « إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » (التوبة: ٤٠).

إعداد/ صلاح عبد الخالق

الهجرة كلها دروس وعظات وعبر هيا نحاول أن نطوف حول درس واحد من دروس الهجرة ألا وهو الله مَعَنَا.

- تنقسم معية الله لخلقه إلى قسمين:

المعية العامة: هي التي تقتضي الإحاطة بجميع الخلق من مؤمن، وكافر، وبرٍّ وفاجر في العلم، والقدرة، والتدبير والسلطان وغير ذلك من معاني الربوبية.

- قال تعالى: « هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ » (الحديد: ٤).

المعية الخاصة: أما الخاصة فهي التي تقتضي النصر والتأييد لمن أضيفت له، وهي مختصة بمن يَستحق ذلك من الرسل واتباعهم. ومن أمثلتها قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ) (النحل: ١٢٨). مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٤٧/٤)

كيف يكون الله تعالى مع الخلق جميعا في وقت واحد؟

- أهل السنة والجماعة يقولون: نحن نؤمن بأن الله تعالى فوق عرشه، وأنه لا يُحيط به شيء من مخلوقاته، وأنه مع خلقه كما قال في كتابه، ولكن مع إيماننا بعلوه. ولا يمكن أن يكون مُقتضى معيته إلا الإحاطة بالخلق علما، وقدرة وسلطانًا، وسمعاً، وبصرا، وتدبيرا، وغير ذلك من معاني الربوبية، أما أن يكون حالاً في أمكنتهم، أو مختلطا بهم كما يقول أهل الحلول والاتحاد، فإن هذا أمر باطل لا يمكن أن يكون هو ظاهر الكتاب والسنة، وعلى هذا فنحن لم نؤول الآية ولم نصرفها عن ظاهرها، لأن الذي قال عن نفسه: «وهو معكم» هو الذي قال عن نفسه: «وهو العلي العظيم» وهو الذي قال عن نفسه: «وهو القاهر فوق عباده» إذاً فهو فوق عباده، ولا يُمكن أن يَكون في أمكنتهم، ومع ذلك فهو معهم محيط بهم علما، وقدرة، وسلطانا، وتدبيرا وغير ذلك. مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١٧٤/٥).

المعية العامة:

١- احذر.. إن الله تعالى معك:

- قال تعالى: « يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا » (النساء: ١٠٨).

- هذا من ضعف الإيمان، ونقصان اليقين، أن تكون مَخافة الخلق عندهم أعظم من مَخافة الله، فيحرصون بالطرق المباحة والمحرمة على عدم الفضيحة عند الناس، وهم مع ذلك قد بارزوا الله بالعظائم، ولم يبالوا بنظره واطلاعه عليهم. وهو معهم بالعلم في جميع أحوالهم، خصوصًا في حال تبييتهم ما لا يُرضيه من القول، من تبرئة الجاني، ورمي البريء بالجناية، فقد جمعوا بين عدة جنايات، ولم يراقبوا رب الأرض والسماوات، المطلع على سرائرهم وضمائرهم، ولهذا توعدهم تعالى بقوله: «وَكَانَ اللَّه بِمَا يَعْمَلُونَ مُحيطًا» أي: قد أحاط بذلك علما، ومع هذا لم يعاجلهم بالعقوبة بل استأنى بهم، وعرض عليهم التوبة وحذرهم من

الإصرار على ذنبهم الموجب للعقوبة البليغة. (تفسير السعدي: ١/٢٠٠)

٢- إياك والفضيحة يوم القيامة:

- قال تعالى: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» (المجادلة: ٧).

أ- نَجْوَى أيْ: منْ سِرٍّ، يُطْلِعُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ يَسْمَعُ كَلَامَهُمْ وَسِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ، وَرُسُلُهُ أَيْضًا مَعَ ذَلِكَ تَكْتُبُ مَا يَتَنَاجَوْنَ بِهِ. تفسير ابن كثير (٨/٤٢).

ب- «ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وهذه لمسة أخرى ترجف وتزلزل.. إن مجرد حضور الله وسماعه أمر هائل. فكيف إذا كان لهذا الحضور والسماع ما بعده من حساب وعقاب؟ وكيف إذا كان ما يسره المتناجون وينعزلون به ليخفوه، سيُعرض على الأشهاد يوم القيامة وينبئهم الله به في الملأ الأعلى في ذلك اليوم المشهود؟! (الظلال: ٦/٣٥٠٨).

ج- قال المفسرون: ابتدأ الله هذه الآيات بالعلم بقوله «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ» واختتمها بالعلم بقوله «إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» لينبه إلى إحاطة علمه جل وعلا بالجزئيات والكليات، وأنه لا يغيب عنه شيء في الكائنات لأنه قد أحاط بكل شيء علماً. صفوة التفاسير (٣/٣١٨).

المعية الخاصة:

معية الله تعالى الخاصة لعباده الطائعين لها فضائل عظيمة وحسنات جسيمة منها:

أولاً: في الدنيا:

١- محبة الله تعالى: قال تعالى: (وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) (البقرة: ١٩٥). وقال تعالى: (بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) (آل عمران: ٧٦).

الله عز وجل يحب المتقين والمحسنين لذلك هو معهم، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ) (النحل: ١٢٨).

وإذا أحبهم كان حالهم كما صح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ " صحيح البخاري (٦٥٠٢).

- فإذا وصلت إلى هذه الدرجة وهي محبة الله لك قال: (كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به)، المعنى: أن الله يحفظ سمعك، ويحفظ بصرك، ويحفظ لسانك، ويحفظ يدك ورجلك، وكان الله لك في كل هذه الأشياء حافظاً ووكيلاً وحفيظاً عليك: «فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» (يوسف: ٦٤)، فيحفظ سمعك فلا تسمع إلا ما يرضي الله سبحانه وتعالى، فعندما يريد إنسان أن يحدثك بغيبة أو بنميمة أو بسخرية بالاستهزاء بكذا فلا تسمع، ولا تحب ذلك؛ لأن الله جعل سمعك سمعاً ربانياً، لا يسمع إلا ما يحبه سبحانه وتعالى، ويكره إليك المعاصي فلا تحبها، فإذا أراد بصرك أن ينظر إلى ما حرم الله إذا بالواعظ في قلبك يزجرك وينهاك فتمتنع من ذلك محبة لله سبحانه وطاعة لله وحباً من الله لك، وكذلك اليد التي تبطش بها تجاهد في سبيل الله، فيسدد الله رميتك لعدوك، قال: (ورجله التي يمشي بها) فيوفقك الله لطاعته والمشي إلى رضوانه، فتمشي في جنازة أو تعود مريضاً، فتجد نفسك كل مشي في طاعة الله يُعينك الله عليه ويوفقك إليه، فكان الله عز وجل لك معيناً في ذلك. والمعنى: كنت له عوناً معيناً محافظاً حافظاً له مدافعاً عنه ناصراً له. تفسير أحمد حطيبة (٥/٤١٨)

٢- النصر والحفظ والتأييد والنجاة:

- قال تعالى: (إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (التوبة: ٤٠).

- (ثَانِيَ اثْنَيْنِ) أي: هو وأبو بكر الصديق رضي الله عنه (إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ) أي: لما هربا من مكة، لجآ إلى غار ثور في أسفل مكة، فمكثا فيه ليبرد عنهما الطلب. فهما في تلك الحالة الحرجة الشديدة المشقة، حين انتشر الأعداء من كل جانب يطلبونهما ليقتلوهما، فأنزل الله عليهما من نصره ما لا يخطر على البال. (إِذْ يَقُولُ) النبي صلى الله عليه وسلم (لِصَاحِبِهِ) أبي بكر لما حزن واشتد قلقه، (لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) بعونه ونصره وتأييده. (فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ) أي: الثبات والطمأنينة، والسكون المثبتة

للفؤاد، (وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا) وهي الملائكة الكرام، الذين جعلهم الله حرسا له. تفسير السعدي (٣٣٧/١)

ثانيا في الآخرة: من كان الله معه أعطاه في الآخرة أجور عظيمة منها:

١- تكفير السيئات:

- قال تعالى: (وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ السَّبِيلِ) (المائدة: ١٢).

-قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ» أَيْ: بِحِفْظِي وَكَلَاءَتِي وَنَصْرِي «لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي» أَيْ: صَدَّقْتُمُوهُمْ فِيمَا يَجِيئُونَكُمْ بِهِ مِنَ الْوَحْيِ «وَعَزَّرْتُمُوهُمْ» أَيْ: نَصَرْتُمُوهُمْ وَآزَرْتُمُوهُمْ عَلَى الْحَقِّ «وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا» وَهُوَ: الْإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِهِ وَابْتِغَاءِ مَرْضَاتِهِ «لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ» أَيْ: ذُنُوبَكُمْ أَمْحُوهَا وَأَسْتُرُهَا، وَلَا أُؤَاخِذُكُمْ بِهَا. تفسير ابن كثير (٦٦/٣)

٢- دخول الجنات: قال تعالى: (وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ) المائدة: ١٢. أي: تجري من تحت غرفها، وأشجارها أنهار الماء واللبن والخمر والعسل. صفوة التفاسير (٣٠٧/١)

من هم أهل المعية الخاصة:

جاء ذكرهم في القرآن الكريم والسنة منهم:

١- الصابرون:

- قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّٰبِرِينَ) (البقرة: ١٥٣).

- (مَعَ الصَّابِرِينَ) مع من كان الصبر لهم خُلقا وصفة، وملكة بمعونته وتوفيقه، وتسديده، فهانت عليهم بذلك، المشاق والمكاره، وسهل عليهم كل عظيم، وزالت عنهم كل صعوبة، وهذه معية خاصة، تقتضي محبته ومعونته ونصره وقربه، وهذه منقبة عظيمة للصابرين، فلو لم يكن للصابرين فضيلة إلا أنهم فازوا بهذه المعية من الله، لكفى بها فضلاً وشرفا. (تفسير السعدي ٧٤/١)

٢- أهل التقوى:

قال تعالى: (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) (البقرة: ١٩٤).

-«مَعَ الْمُتَّقِينَ» أي: بالعون، والنصر والتأييد والتوفيق. ومن كان الله معه، حصل له السعادة الأبدية، ومن لم يلزم التقوى تخلى عنه وليه، وخذله، فوكله إلى نفسه فصار هلاكه أقرب إليه من حبل الوريد. تفسير السعدي (٨٩/١).

٣- أهل الإحسان:

- قال تعالى: (وَالَّذِينَ جَٰهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) (العنكبوت: ٦٩).

- والذين هم محسنون في طاعة ربهم إخلاصاً في النية والقصد، وأداءً على نحوه، شرع الله وبين رسول الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ. أيسر التفاسير (١٧١/٣).

- مع المحسنين بالنصر والمعونة والتأييد، مع المحسنين في أعمالهم برعاية الفرائض، والتزام الطاعة، وأداء الحقوق.

- في صحيح مسلم (٨): يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ:«أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، وهذا الحديث يُوضح قمة الإحسان و المراقبة والخشية للملك سبحانه في كل أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم.

٤- إن الله مَعَ الْمُؤْمِنِين:

- قال تعالى: (وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) (الأنفال: ١٩).

- إن الله دوماً مع المؤمنين فلن يتخلى عن تأييدهم ونصرتهم ما استقاموا على طاعة ربهم ظاهراً وباطنا. أيسر التفاسير (٢٩٤/٢)

٥- صاحب الدين في حلال:

- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: " إِنَّ اللَّهَ مَعَ الدَّائِنِ حَتَّى يَقْضِيَ دَيْنَهُ، مَا لَمْ يَكُنْ فِيمَا يَكْرَهُ اللَّهُ".

سنن ابن ماجه (٢٤٠٩) صحيح الجامع (١٨٢٥)

فمن استدان في طاعة لله ونوى أن يسده كان الله مُعينا له في السداد وإن مات قبل السداد قضى الله تعالى دينه.

٦- جماعة المسلمين:

- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ» سنن الترمذي (٢١٦٦)

فإن الجماعة المرادة هنا: هي جماعة المسلمين والسواد الأعظم منهم، المتمسكين بكتاب الله تعالى، المتبعين لسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. فهذه الجماعة يجب لزومها، ويحرم الشذوذ عنها. وهي التي معها يد الله تعالى، بمعنى أنهم في كنفه وحفظه وكلاءته. والله أعلم.

والحمد لله رب العالمين.

جماعة أنصار السنة المحمدية

تأسست عام ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م

ومن أهدافها

١ الدعوة إلى التوحيد الخالص المطهر من جميع الشوائب، وإلى حب الله تعالى حبًّا صحيحًا صادقًا، يتمثل في طاعته وتقواه، وحب رسوله صلى الله عليه وسلم حبًّا صحيحًا صادقًا، يتمثل في الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة.

٢ الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين : القرآن والسنة الصحيحة، ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

٣ الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط: عقيدةً وعملاً وخُلُقًا.

٤ الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم، والحكم بما أنزل الله، فكل مشرِّع غيره - فيما لم يأذن به الله تعالى - معتدٍ عليه سبحانه، منازِع إياه في حقوقه.

مجلة التوحيد لا غنى عنها لكل مسلم

التوحيد

مجلدات
مجلدات
مجلدات

عـ ٤٤ ـامًا

مجلدات
مجلدات
مجلدات

٤٤ عـامًا
٤٤ عـامًا
٤٤ عـامًا

بـ ٨٥٠ جنيه فقط

٤٤ عـامًا
٤٤ عـامًا
٤٤ عـامًا

مفاجأة كبرى



- اشتراك سنة مجانًا بمجلة التوحيد لمن يشتري الموسوعة.
- الكمية محدودة والعرض سارٍ حتى نفاد الكمية.
- يمكن بعد الشراء إرسال الكرتونة على عنوانك عن طريق مكتب الشحن.

نحن بانتظاركم